

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل -

قسم اللغة والأدب العربي



كلية الآداب واللغات الأجنبية

الرقم التسلسلي:

مذكرة بعنوان:

# الحجاج وآلياته في المناظرات الأدبية بالأندلس -السيف والقلم أنموذجا-

مذكرة مكتملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في الآداب واللغات تخصص أدب عربي قديم

تحت إشراف الأستاذ:

✓ د. نور الدين سعيداني

من إعداد الطالبتين:

✓ أمينة شكشاك

✓ سارة بن حميمد

اللجنة المناقشة		
رئيسا	أستاذ	عبد المالك مسعودان
مشرفا ومقررا	دكتور	نور الدين سعيداني
مناقشا	أستاذ	مختار قندوز

السنة الجامعية: 1440/1439 هـ - 2019/2018 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# دعاء

اللهم لا تجعلنا نسابه بالغرور إذا نجحنا

ولا تجعلنا نسابه باليأس إذا أخفقنا وذكّرنا أن الإخفاق هو التجربة التي

تسوق إلى النجاح

اللهم إذا أعطيتنا نجاحاً فلا تأخذ تواضعنا وإذا أعطيتنا تواضعاً فلا تأخذ

اعتزازنا بكرامتك فأنت العزيز الحكيم

اللهم لا تأخذنا إن نسينا أو أخطأنا وأغفر لنا ذنوبنا أنت الغفور الرحيم

ووفق كل طالب

فأنت خير موفق وخير معين

أمين

# التشكرات

نشكر الله تعالى على إعانتنا في نجاح هذا العمل  
كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من جاز  
علينا بعمله، كتبه وإنجازاته وتوجيهاته ونصائحه  
في إنجاز هذه المذكرة  
ونخص بالذكر المشرف الدكتور: نور الدين سعيداني  
كما نتقدم بالشكر والعرفان لكل طاقم المكتبة الجامعية  
وكل من ساهم في إنجاز هذه المذكرة  
من قريب أو من بعيد



# إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى أعمى ما أملك في دنياي إلى من كافح دواما دون أن يملا أو يكلا من أجل  
سعادتنا إلى سند ظمري ... أبي العزيز حفظه الله.

أغلى من اللؤلؤ المرجان إلى من غمرتني بالعنان والتي سهرت علي الليالي من أجل تربيته  
..... أمي العنونة حفظها الله.

إلى توأم روحي ... أميرة ... إلى إخواتي الأعمى ... كمال، أمين

إلى خالتي اللذين كنا سندي في الحياة وإلى ابنتي خالتي ... يسرى أهدي عملي هذا  
إلى أحبتي بلا إستثناء..... ما دامت الحياة صفحات دريها الاخلاص والوفاء والحب...

إلى كل من وسعه قلبي ولم تسعه هذه الورقة

أهدي هذا الجهد المتواضع إلى من كانوا ومزالو سببا في تقدمي ونجاحي.

إلى كل طالب علم يجتهد ويسعى إلى تحقيق كل ما هو نافع وثمر لوطنه وبلده

أمينة

## هدايا

كل آت قريب وكل بداية نهاية ودوام الحال من المحال وكل شيء إذا ما تم نقصان  
فلا يعز بطيب عيش إنسان إلا إذا تمت الأعمال.

حمدا وشكرا لله الذي أتم علينا هذا العمل المتواضع في صحة وعافية أما بعد:

فلا يسعني أن نهدي هذا العمل المتواضع إلى معلمي في الحياة إلى نور حياتي ومصدر عزتي  
وكبريائي إلى الذي ضحى بالكثير من أجل سعادتي أدامه الله تاجا فوق رأسي ونورا ينبير دربي  
.....أبي الغالي

إلى من أروضتني بحب العنان وصفاء الحب وخالص العطاء إلى من كانت تسقيني دعاء النجاج

حتى وصلت إلى أسمى المراتب .....أمي الغالية

إلى من شاركوني اللبن الصافي والعطف الكافي إلى أخواتي: خديجة، مريم، روميصة.

وإلى زوج أختي رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه...وإلى الكتكوتين الصغيرين بهاء الدين وعلاء

الدين وإلى كل الأهل والأقارب.

أهدي عملي هذا

إلى جميع من علمنا ولم يبخل على توجيهنا ومد لنا يد العون وساعدنا ولو بكلمة

إلى كل من يتصفح مذكرتي

إلى جميع من وسعتم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي

إلى كل من يبذل جهد في سبيل العلم

إلى كل إطار قسم " اللغة والآداب العربي " وكل دفعة مسار أدب قديم 2018 - 2019

مقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان واحتضنه بالعقل والبيان وجعله وسيلة في خصمه وحججه وسبيله إلى جداله واحتجاجه، والصلاة والسلام على من شيد أركان الدين بالإسناد واليقين، أفضل الخلق وأبلغه حجة وأفصح الناس وأنصحه محجة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

إن فكرة الحجج فكرة بلاغية يندرج اليوم في الدراسات التي تعنى بالجانب التنظيري للحجاج، والتي تحاول تطبيق معالم هذه النظرية على مختلف أشكال الخطاب، فقد اهتم الدارسون بفن الخطاب وبالأخص بفن المناظرة، باعتبارها الركيزة الأساسية في إيصال الأفكار، وتحقيق المقاصد بين المتكلم والمتلقي، حيث تتضمن كل وسائل الإثارة والإقناع وهي ميدان واسع يصول العقل فيه ويجول.

من هنا يمكننا اعتبار المناظرة حقلاً خصباً نمت فيه مقدرة الإنسان على تبادل الأفكار بما يخدم توجهاته وطموحاته ضمن سياق جدلي يجمع بين طرفين فأكثر، يقصد كل منها إقناع الخصم المتلقي أو دحض حجته لما يضمنه من استمالة للعقول والقلوب، إذن فالمناظرات العربية على مر العصور تعد براهين قوية تعكس النضج الفكري العربي وبالأخص في العصر الأندلسي في القرن الخامس، ومنه تعتبر نظرية الحجج من أهم النظريات التي تهتم بدراسة الطريقة التي يتبناها المتكلم، ونظراً لأهمية هذا الموضوع خصصنا بحثنا لمعالجة تقنياته وآلياته واختارنا مدونة من التراث العربي الأندلسي تتميز بأسلوبها الحجاجي الواضح، ألا وهي المناظرة الخيالية التي دارت بين السيف والقلم، إذ يسعى كل واحد منهما إلى إبراز قيمته وأيهما أعظم فخراً وأعلى قدراً، وفي هذا الإطار جاءت دراستنا الموسومة: "الحجاج وآلياته في المناظرات الأدبية بالأندلس"، وما يلفت انتباهنا أن الباحثين أهملوا هذا الجنس الخطابي "المناظرة" الذي يعد من أهم الأشكال التي يتمظهر من خلالها الحجج، فهي لم تحظ بالدراسة الكافية، وكان ميلنا الشديد إلى هذا المجال الدافع الرئيسي في اختيارنا له إذ حاولنا تسليط الضوء على الحجج والكيفية التي يبني بها المناظرة. كما يقتضي الإنصاف العلمي إعطاء هذا الفن حقه من الدراسة التطبيقية ولو بصورة مبسطة، وقد اقتضت طبيعة الموضوع عدد من التساؤلات لعل أهمها:

- ما هي طبيعة الحجج التي اعتمدها ابن برد الأصغر في مناظرته الخيالية (السيف والقلم)؟
- وما هي تصنيفاتها؟
- وما هي الآليات اللغوية وغير اللغوية لها؟
- وكيف تسهم الروابط اللغوية في الربط بين الحجج والنتائج؟



## مقدمة

- وما الدور التي تلعبه العوامل الحجاجية؟

ولإثراء البحث والإلمام بعناصره اعتمدنا خطة تمثلت في: فصلين: الفصل الأول نظري جاء تحت عنوان: الحجاج والمناظرة، الذي بذاته قسمناه إلى عنصرين: العنصر الأول: تطرقنا فيه إلى مفهوم الحجاج لغة واصطلاحاً وحاولنا الوقوف على الدرس الحجاجي عند الغرب والعرب بدءاً بـ "السفسطائيين" وصولاً عند المحدثين "كبيرلمان" و"تولمين"، كذلك الدرس الحجاجي عند العرب بدءاً بـ "الجاحظ" و"أبي هلال العسكري" وصولاً عند "طه عبد الرحمن" و"أبي بكر العزاوي"، أما العنصر الثاني فخصصناه للحديث عن المناظرة، إذ تناولنا فيه المفهوم اللغوي والاصطلاحي لها، وحاولنا بعد ذلك تتبع مراحل نشأتها مع الوقوف على أنواعها وأركانها وأهدافها وشروطها، أما الفصل الثاني فيمثل الجانب التطبيقي من هذه الدراسة، فكان بعنوان آليات الحجاج في مناظرة السيف والقلم، الذي تناولناه من خلال ثلاثة عناصر: أولاً الآليات اللغوية، ثانياً: الآليات النحوية، ثالثاً: الآليات غير اللغوية، كما ذيلنا البحث بخاتمة جاء فيها أهم النتائج المتوصل إليها من خلال تتبعنا للدراسة.

ويتميز البحث بالدقة ويكون أكثر تنظيماً للوصول إلى نتائج سليمة اعتمدنا في ذلك على المنهج الوصفي مع الاستعانة بالمنهج التداولي لأنهما الأنسب لهذه الدراسة، تغيير في الخبايا المعرفية لانبجاز هذا العمل المدعم بمجموعة من المصادر والمراجع أهمها: الذخيرة في المحاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني، والحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر لمحمد سالم محمد الأمين الطلبة، بلاغة الإقناع في المناظرة لعبد اللطيف عادل.

وقد واجهتنا صعوبات تمثلت في: صعوبة الموضوع، وتعذر الإلمام بكل آليات الحجاج في الجانب التطبيقي، لكنها صعوبات هانت بحول الله، فإن أصبنا فمن الله عز وجل وإن أخطأنا فمن أنفسنا.

وفي الأخير يبقى من الواجب علينا أن نتقدم بكلمة شكر نخص الأستاذ المشرف الدكتور نور الدين سعيداني الذي لم يخل علينا بتوجيهاته وملاحظاته القيمة، فجزاه الله خيراً الجزاء ووقفه لكل خير، كما نهب الشكر خالصاً لأعضاء اللجنة المناقشة لتجشّمهم عناء قراءة وتصويب هذا البحث والله والمستعان.

الطالبتان: - سارة بن حميمد.

- أمينة شكشاك.

جيغل يوم: 2019/06/22م

الموافق ل: 19 شوال 1440 هـ

# الفصل الأول: الحجاج والمناظرة

## أولاً - الحجاج

- مفهومه نشأته، أنواعه.
- وسائل وتقنيات الحجاج.
- علاقة الحجاج بالمصطلحات الأخرى.

## ثانياً: المناظرة

- مفهومها، نشأتها، أنواعها.
- أهدافها، أركانها، مراحلها وشروطها.

أولاً: الحجاج (مفهومه، نشأته، أنواعه، وتقنياته)

### 1. مفهوم الحجاج:

أ. الدلالة اللغوية:

تدور معاني الجذر اللغوي لكلمة "حجاج" "ح، ج، ج"، المجادلة بسبب خلاف الوجهة أو الرأي أو ما شابه، ومنه الدليل على الرأي المرغوب إثباته وهذا ما نجده وارد في بعض المعاجم العربية، إذ أن المعنى اللغوي لكلمة حجاج في قاموس لسان العرب "لابن منظور" من خلال قوله: «حاججته: أحاجه حجاجاً ومحااجة حتى حاججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها... و الحججة البرهان: وقيل الحججة ما دوفع به الخصم»<sup>(1)</sup>؛ ومن هنا يبين لنا أن الحجاج يكون لخصومة وهذا ما دلت عليه كلمة "غلبة" وتكون الغلبة في الكلام والخطاب الذي يقيم الحججة والبرهان على صحة ما يدعي؛ هذا ما ذهب إليه "الأزهري" الذي يقول: الحججة الوجه الذي يكون به الظفر عن الخصومة، وهو رجل محجاج أي جدل: والتجاج التخاصم، وجمع الحججة: حجج، حجاج، غلبه على حجته، وفي الحديث: (فحج آدم موسى أي غلبه بالحجة)، واحتج بالشيء اتخذه حجة قال الأزهري: إنما سميت حجة لأنها تجح أي تقصد لأن القصد لها وإليها. والحجة: الدليل والبرهان: يقال: حاججته فأنا محجاج وحجيج، فعيل بمعنى فاعل ومنه حديث معاوية (فجعلت أحج خصمي أي أغلبه بالحجة).

وقد ورد في معجم الوسيط «حاجه، محااجة، وحجاجا: جادله، وفي التنزيل العزيز: "ألم ترا الذي حاج

إبراهيم في ربه»<sup>(2)</sup>؛ احتج عليه: أقام الحججة وعارضه مستنكراً فعله، تحاجوا: تجادلوا.

وما يزيد هذا المعنى قوة ما أتى به "الزمخشري" في معجمه أساس البلاغة: «حجج، احتج على خصمه بحجة شهباء، وبحجج شهب، وحاج خصمه فحجه، وفلان خصمه محجوج، وكانت بينهما محااجة وملاجة،

<sup>(1)</sup> - أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري: لسان العرب، المجلد 2، (مادة حجج)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص24.

<sup>(2)</sup> - إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ج1 (من الهزمة إلى آخر الضاء)، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، إسطنبول، تركيا، ص156.

وسلك المحجة، وعليكم بالمناهج النيرة، والمحاج الواضحة، وأقامت عنده حجة كاملة، وتلا حجج كوامل، وحجوا مكة وهم حجاج»<sup>(1)</sup>.

مما سبق ذكره نلاحظ أن اللغويين العرب اتفقوا في نقطة واحدة هي أن الحجاج يحمل دلالة واحدة وكلهم يؤكد على أن الحجاج هو الدليل والبرهان، وهدفه الرئيسي هو الإقناع. فالحجاج إذن يكون أثناء المخاصمة والمجادلة بين شخصين فهو يعتبر وسيلة من الوسائل التي يستعملها المخاطب للتأثير على خصمه.

هذا ما يظهر أن الذي يدعي صحة رأيه عليه إثبات ذلك فقد ورد لفظ "الحجاج" في عدة آيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة. قال تعالى "اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَعُنْ سَبِيلَهُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" الآية 125 سورة النحل. قوله أيضا "وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ" الآية 83 سورة الأنعام.

و قال تعالى: « هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » الآية 66 سورة آل عمران.

أما في الحديث النبوي فجاء في قوله صلى الله عليه وسلم «إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض وأقضي له على نحو ما أسمع فمت قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذ فإنما أقطع له قطعة من النار» أخرجه البخاري 6452.

في حين يقابل لفظ "حجاج" في المعاجم لفرنسية "Argumentation" التي تشير إلى عدة معاني متقاربة أبرزها على الخصوص حسب قاموس روبر "le grand Robert" ما يلي :

- القيام باستعمال الحج.
- مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة.
- فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معينة.

<sup>(1)</sup> جار الله محمود بن عمر الزمخشري: معجم أساس البلاغة، (مادة الحاء)، تح: مزيد نعيم وشوقي المعري، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1998، ص 131.



وفي المعجم ذاته نجد أيضا "argument- arguer"، فالأولى: تعني استخراج الحجج، أما الثانية فتعني الحجج والاثبات التي يدافع بها عن الاعتراض.<sup>(1)</sup>

أما في اللغة الإنجليزية فيشير لفظ "Argue" إلى: « وجود اختلاف بين طرفين ومحاولة كل طرف منهما إقناع الآخر بوجهة نظره بتقديم الأسباب أو العلل recasons التي تكون مع أو رأي أو سلوك ما»<sup>(2)</sup>.

كما نجد أيضا أن كلمة "Argument" من الفعل اللاتيني "Arguer" « وتعني جعل الشيء واضحا ولامعا وظاهرا وهي بدورها من جذر إغريقي "Argues"، وتعني أبيض لامع»<sup>(3)</sup>؛ إذن نلاحظ هنا أن هذا المعنى لمصطلح الحجاج واضح يقارب معنى الحجاج في الثقافة العربية كون الحجج تستخدم للتوضيح والإقناع، وإزالة الغموض وإظهار الحقيقة.

### ب. الدلالة الاصطلاحية:

الحجاج في الاصطلاح لا يختلف عن الحجاج في اللغة كثيرا، فمفهوم الحجاج يدور في فلك العديد من التعريفات، فقد عرف تعددا وتنوعا في المفاهيم وينفتح أيضا على حقول واسعة كالفلسفة واللسانيات، ونظريات التواصل، علم النفس، علم الاجتماع وغيرها، فهو يتميز بكثرة الحقول المعرفية كما أنه اختلف من ناقد للآخر ولعل هذا التنوع والاختلاف راجع إلى تنوع وتحدد الحقول المعرفية، ومع هذا خلصوا في نهاية أمره إلى أن الحجاج عبارة عن علاقة تخاطبية بين المخاطب والمخاطب حول موضوع أو قضية ما، فالمخاطب يقوم بدعم فكرته بمختلف الحجج والبراهين والمخاطب له حق الاعتراض إذا لم يقتنع بتلك الحجج، فالغرض من الحجاج هو تحصيل الإقناع. فهذا "طه عبد الرحمن" يعرف الحجاج على أنه «كل منطوق به موجة إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها بحسب القيمة التي تحملها»<sup>(4)</sup>.

ففي تعريفه هذا يركز طه عبد الرحمن على الجانب الشكلي للحجاج ولا يتجاوز به إلى الغرض التداولي المراد منه هو تحصيل الإقناع.

<sup>(1)</sup> - ترجمة: حبيب أعراب: الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري " مقال"، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج30، ع30، 1 ديسمبر، 2001، ص 109.

<sup>(2)</sup> - المرجع نفسه: ص109.

<sup>(3)</sup> - حافظ إسماعيل: علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الجديدة، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010، ج1، ص2.

<sup>(4)</sup> - طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1997، ص226.

ويتوسع أيضا "طه عبد الرحمن" في تعريفه للحجاج في كتابه "في أصول الحوار وتحديد علم الكلام" فيقول: «فهو تداولي لأن طابعه مقامي واجتماعي إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجيهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة علمية وإنشاء موجهها بقدر الحاجة، وهو أيضا جدلي لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة»<sup>(1)</sup>؛ "فطه عبد الرحمن" من خلال تعريفه هذا يتوسع فيه توسعا كبيرا من خلال مقارنته بالبرهان، إذ أعطى للحجاج صفتين رئيسيتين وجعله يتسم بهما وهما التداولية والجدلية، فالصفة الأولى "التداولية" للحجاج تعطي الحق للجميع في الاشتراك فيه دون استثناء، أما صفة "الجدلية" تقوم على الإقناع والتأثير في المتلقي باستخدام مختلف الآليات الحجاجية.

وبهذا فالحجاج علاقة تخاطبية بين المتكلم والمستمع حول قضية ما، متكلم يدعم قوله بالحجج والبراهين لإقناع الغير، والمستمع له حق الاعتراض عليه إن لم يقنع.

بالإضافة إلى هذه التعاريف نجد تعريفا آخر للحجاج على أنه هو: «تقديم الحجج و الأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات إستنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي نستنتج منها أن كون اللغة لها وظيفة حجاجية يعني أن التسلسلات الخطابية محددة لا بواسطة الوقائع المعبر عنها داخل الأقوال فقط، ولكنها محددة أيضا وأساسا بواسطة بنية من الأقوال نفسها وبواسطة المواد اللغوية التي تم توظيفها وتشغيلها»<sup>(2)</sup>؛ فمن خلال هذا التعريف نرى أن النص الحجاجي خطاب لغوي كون اللغة فيه ذات طابع حجاجي.

كما يقدم "بيرلمان" تعريفا للحجاج يجعله «جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة هي حمل المتلقي على الإقناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الإقناع»<sup>(3)</sup>؛ و على هذا يركز بيرلمان في تعريفه على وظيفة الحجاج وفائدته وهي أن تقنع شخصا بقضية أو تزيد من شدة اقتناعه.

(1) - طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000، ص65.

(2) - حافظ اسماعيل علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج1، عالم الكتب الحديث، الأردن، د ط، 2010، ص 57.

(3) - سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيتة وأساليبه، عالم الكتب الحديث، ط1، 2008، ص

فموضوع الحجاج حسب "بيرلمان وتيتكاه"، «هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد من درجة ذلك التسليم».<sup>(1)</sup>

وفي موضع آخر من الكتاب يبين الباحثان الغاية من الحجاج فيقولان أن: «غاية كل حجاج أن يجعل العقول تدعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوي درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه) أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيين لذلك في اللحظة المناسبة»<sup>(2)</sup>؛ فمن خلال التعريفين السابقين يتبين لنا أن الهدف من الحجاج ليس فقط الإقناع الفكري، أي تقبل العقل ما يطرح عليه، بل يهدف أيضا إلى الحث على الفعل أو الاستعداد لهذا الفعل.

أضف إلى ذلك أن "بيرلمان وتيتكاه" يقسمان الحجاج إلى صنفين إقناعي واقتناعي، إذ يتوجه الإقناع إلى متلقي خاص وهو يعتمد على الخيال والعاطفة، أما الاقتناع فهو يرمي إلى أن يسلم به كل ذي عقل، فهو عام يعتمد بالأساس على العقل، فمن خلال هذين النوعين المؤلفات الاقتناع أساس الحجاج وهدفه، لأنه يعتمد على الحرية والعقل.

ولضبط مفهوم الحجاج **Argumentation** بشكل واضح و أكثر دقة ينبغي علينا مقارنته بمفهوم البرهنة أو الاستدلال **Démonstration** المنطقي، فالخطاب الطبيعي ليس خطابا برهانينا بالمعنى الدقيق للكلمة، إذ أنه لا يقدم براهين أدلة منطقية كما انه لم يتوصل إلى مبادئ الاستنتاج المنطقي، و لفظة الحجاج لا تعني البرهنة على صدق أو إثبات قضية ما، ولدعم هذه الفكرة أكثر نقوم بالتمثيل لكل من البرهنة و الحجاج بمذتين المثالين:

- كل اللغويين علماء .
- زيد لغوي .
- إذن زيد عالم .
- انخفضت درجة الحرارة.
- إذن سينزل المطر .

فالمثال الأول يتعلق ببرهنة أو بقياس منطقي، أما المثال الثاني لا يمكن أن يعتبر حججا أو استدلالا طبيعيا غير برهاني.

(1) - حمادي صمود: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، د.ت، ص 299.

(2) - المرجع نفسه: ص ن.

فالمثال الأول يكون حتميا وضروريا بالأسباب منطقية، أما إمكانية أو احتمال نزول المطر في المثال الآخر فإنه يقوم على معرفة العلم بالنظر إلى السطر الأول من الجملة فهو استنتاج حتمي<sup>(1)</sup>.

ويأخذ مفهوم الحجاج عند اللغوي الفرنسي "أزفالد ديكور" منحى آخر، إذ يعرض في كتابه مفهوم للحجاج وآلياته من خلال كتابه "الحجاج في اللغة" الذي شاركه في تأليفه "جان كلود أوسكمبر"، وفيه تحدث عن حجاج مختلف عند "بيرلمان"، فهو: حجاج يقوم على اللغة بالأساس بل يكمن فيها، فهو حجاج لساني بحت، بينما عرف بيرلمان الحجاج باعتباره مجموعة أساليب وتقنيات في الخطاب تكون شبه منطقية وشكلية أو رياضة. وعلى هذا النحو يتنزل الحجاج عند "ديكرو" وأتباعه في صميم المدرسة البراغماتية، فمقتضى انشغالها بوظائف الخطاب يصبح مفهوم التفاعل مؤسسا في أبحاث أصحابها، إذ في وضع معين يحدث الباث بدوره جملة من الأعمال الإقناعية ذات طبيعة بلاغية معقدة تفعل في المتلقي الذي يحدث بدوره جملة من الأعمال.

وبهذا أقر "ديكرو" بسلطة الخطاب الحجاجي، فهو في نظره خطاب يسد المنافذ على أي حجاج مضاد، فيحرص على توجيه المتلقي إلى وجهة واحدة دون سواها، وبذلك تنتمي إلى ميزتين أساسيتين هما:

- التأكيد على الوظيفة الحجاجية للبنى اللغوية.

- وإبراز سمة الخطاب التوجيهية<sup>(2)</sup>.

فهاتان الميزتان تميزان رؤية "ديكرو" الحجاجية باعتبار التوجيه مفهوما أساسيا في نظريته، فغاية الخطاب الحجاجي تتمثل في أن تفرض على المخاطب نمطا من النتائج باعتبارها الوجهة الوحيدة التي يسير فيها المخاطب.

## 2. نشأة الحجاج:

### 1- الدرس الحجاجي عند الغرب (الفسطاطيين ، أفلاطون ، أرسطو)

#### أ- عند القدماء:

إذا عدنا إلى الجهود السابقة نجد أن الفلاسفة اليونان، "أفلاطون وأرسطو والفسطاطيين" قد تطرقوا إلى الظواهر المرتبطة بالممارسة الحجاجية حيث أولوها اهتماما كبيرا فأصبحت من الدعائم الأساسية في عمليات

(1) - ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2006، صص 14-15.

(2) - ينظر: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيت وأسالبيه، عالم الكتب الحديث، ط1، 2008، صص 22، 24.



الحجاج من بعدهم، وهذا من الدراسات والجهود القديمة في مجال البلاغة والحجاج خاصة، ومن هنا سنحاول عرض بعض ما قدمه وتطرق إليه هؤلاء الفلاسفة.

### \* الحجاج عند السفسطائيين:

تعتبر حركة السفسطائيين حركة فلسفية وظاهرة اجتماعية برزت في القرن الخامس قبل الميلاد، كما أن موضوع الفلسفة ذاتها قد أحدث تغييرا كبيرا في تلك المرحلة من اهتمام بالطبيعة إلى اهتمام بالإنسان، كما أنهم عبروا عن كل هذا التغيير باهتمامهم الكبير باللغة والبلاغة والخطابة، إذ يعتبرون الواضعين الحقيقيين لعلم الخطابة، وهذا الأخير هو ما عبر عنه "غورغياس" "gorgias" بقوله: «الخطابة هي الفن الحقيقي والأسلوب الصحيح في التفكير، وأن المعرفة الحقيقية هي تلك المتمثلة في الخطابة»<sup>(1)</sup>؛ فالواضح من هذا القول أن الكلام عند السفسطائيين قد أصبح كلاما فتانا ومخادعا بعد أن كان موحدا للحقيقة ومقدما للمعرفة، كما أنه أصبح أداة ووسيلة إقناع واقتناع تحمل على الاعتقاد والظن بشتى الوسائل من دون أن تعير اهتماما للحق والباطل.

والواضح أيضا أن روادها قد تميزوا بالكفاءة اللغوية والبلاغية وبالخبرة الجدلية، وقد لعب وجودهم دورا كبيرا في تطوير البلاغة القولية التواصلية والحياة الفكرية اليونانية عامة، فقد كانوا يعقدون نقاشات فلسفية ذات منزع لغوي للأفكار، الأمر الذي أسفر عن اهتمام بالغ بالطرائق الحجاجية الإقناعية.<sup>(2)</sup>

وقد اهتم السفسطائيون ببنية كل من الكلمة والجملة، وبحثوا في السبل الممكنة التي بها يتحقق الإقناع وتغيير مواقف الآخرين، كما أنهم استعانوا في سبيل تلك الغاية بخبرة بالغة بمقامات الناس والقول معاً، وبآليات إجراء اللغة بحسب المقاصد والظروف التواصلية.<sup>(3)</sup>

لقد عمد السفسطائيون في ممارستهم للحجاج إلى بناء حججهم على فكرة "النفعية" المتعلقة "باللذة"، وقد أفضت بهم هذه الفكرة إلى توجيه الحجاج بحسب مقتضى المقام، وتعتبر أيضا فكرتا التوجيه "Orientations"، والتوظيف "Fonctionnement" من الأفكار السفسطائية التي له دور بنائي قوي في معظم البحوث الحجاجية.<sup>(4)</sup>

(1) - الزاوي بغورة: الفلسفة واللغة نقد المنطق لغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 12.

(2) - ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 24.

(3) - ينظر: المرجع نفسه، ص 25.

(4) - ينظر: المرجع نفسه، ص 27.

كما كان السفسطائيون يمارسون سلطة الحجاج ويقصدون بذلك الحصول على السلطة في المجتمع، وكانوا يعلمون الشباب مسالك الاقتدار على الخطابة ويهيئوهم بذلك للسلطة وعلى ذلك كانوا يتقاضون مالا وفيرا، فالسفسطائي كان يشتغل عموما بالتعليم، وها هنا مكنم الخطر فما قال "بروتاغوراس: "أوافق على أنني سفسطائي ووظيفتي هي تعليم الناس" (1)؛ وعلى هذا فغاية السفسطائي تعليم طلبتهم القدرة على الإلقاء والجدل، حتى يستطيعوا أن يواجهوا كل مسألة.

مما سبق ذكره نرى أن الحجاج عند السفسطائيين هو تلاعب بالألفاظ وهروب من الحقيقة، وذلك باعتمادهم حججا واهية من أجل إقناع المتلقي.

### \* الحجاج عند أفلاطون:

تطرق أفلاطون للحجاج من خلال الصراع القائم بينه وبين السفسطائيين، إذ نجده يصرح في محاولته المعروفة قورجياس أن: «... القول الخطي (السفسطائي) لا ينحصر في جنس الخطابة، وإنما هو قول زئبقي يمكن له أن يتسلل ليحرر الخطابة من شرط تحديد الموضوع، وهو قول إثباتي غير جدلي لا يقوم على المساءلة، يعقده صاحبه على الظن لا على العلم، ويقصد به الإقناع، معتمدا في ذلك ما يوافق "اللذة" لذة السماع والقائل، لا "الخير"، فالخطابة السفسطائية كما يبدو من محاوره قورجياس هي حجاج استهواء» (2). ويرتكز نقد أفلاطون للسفسطائيين في اعتبارهم أذعياء على العلم والمعرفة، وأن ما يقدمونه لا يعدو كونه نتائج ظنية مبعثها الهوى واللذة، وهي أمور ومفاهيم ضارة بالقيم والأخلاق واليقين والإيمان، تلك الأربع التي احتلت مكانة كبيرة في البلاغة والفلسفة والأفلاطونية (3).

وفي هذا الصدد نجد أن أفلاطون يحلل موضوع الخطابة في ضوء المقابلة بين العلم والظن، فالإقناع عنده نوعان إقناعي يعتمد على العلم وإقناع يعتمد على الظن فالإقناع المعتمد على العلم مفيد، إذ يكتسب منه المعرفة، أما الظن فهو غير مفيد حسب أفلاطون، فهو لا يكسب الإنسان معرفة بل ينشئ لديه اعتقادات.

### \* الحجاج عند أرسطو:

يعد أرسطو من الفلاسفة اليونانيين الأوائل الذين كتبوا عن الحجاج، فنظريته للبلاغة كانت رؤية حجاجية حيث خصها بكتابين هامين هما: (الريطوريقا البلاغة) و (الحجج المشتركة).

(1) - ينظر: حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، منشورات كلية الأدب، منوبة، تونس، د ت، ص 61.

(2) - المرجع نفسه، ص 56.

(3) - محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، ص 26.

فقد قسم أرسطو البلاغة إلى أقسام ثلاثة: فالأول يتعلق بمفهوم البلاغة وموضوعها ومنهجها وعلاقتها بالجدل، والثاني: يتعلق بالتأثير على الآخر ونفسيته، في حين يتناول القسم الثالث: صفات الأسلوب وآثاره الفنية والجمالية و الحجاجية .

وقد فضل أيضا أرسطو البلاغة على المنطق لأن البلاغة أكثر فعالية في المجتمع، وأداة أيضا ناجعة في تفعيل الجدل. (1)

فبهذا تكون البلاغة هدفها الإقناع والوصول إلى الحق عبر الجدل والاستدلال البرهاني والمنطقي .

فالخطابة عنده شكل من أشكال الخطاب الحجاجي يتوجه به إلى الجمهور السامع مع توجيهه أو إقناعه إيجابيا أو سلبا، وهي عنده تقوم على وظيفتي التأثير والإقناع، وفي هذا النطاق يقول "أرسطو": « ويحصل الإقناع حين يهيا المستمعون ويستميلهم القول الخطابي، حتى يشعروا بانفعال ما، لأننا لا نصدر الأحكام على نحو واحد حسبما نحس باللذة أو الألم، والحب والكراهية .....والخطاب هو الذي ينتج الإقناع حينما نستخرج الصحيح والراجح من كل موضوع يحتمل أن يقع فيه الإقناع». (2)

كما تأسست دراسة أرسطو للحجاج على دعامين كبيرتين الأولى: يختزلها مفهوم الاستدلال، والثانية تقوم على البحث اللغوي الوجودي، ففيما يتعلق بمفهوم الاستدلال نلاحظ انه يحمل شحنة منطقية صورية، فهو عند أرسطو: « تفكير عقلي بواسطته يتم إنتاج العلم» (3) ؛ فهذا الاستدلال لا ينطلق من الفراغ بل من معارف سابقة أهمها المبادئ والتعريفات، وبالتالي يمكن أن نستعمل الاستدلال الحجاجي، في الخطاب الفلسفي عامة والبلاغة خاصة، بوصفه تلك المنهجية أو الطريقة العقلية التي يسلكها الفيلسوف والناقد والمبدع أيضا بهدف إرساء حقيقة معينة. (4)

وعلى هذا فالاستدلال والحجاج يلتقيان ويتقاطعان تكامليا في الفلسفة ضمن مدار واحد ومركز هذا المدار هو عرض الحقيقة العقلية اللفظية عرضا استدلاليا متماسكا تواكبه إجراءات حجاجية معروضة في تناسق مع إنجازات لسانية وبلاغية وتداولية وغيرها. (5)

وفي المضمار ذاته حدد أرسطو في كتابه ثلاثة عناصر لبناء الخطابة:

(1) - جميل حمداوي: من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2014، صص 24- 25.

(2) - ينظر المرجع نفسه، ص 25.

(3) - محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في البلاغة النقد المعاصر، ص 36.

(4) - المرجع نفسه: صص 36- 37.

(5) - أعراب حبيب: الحجاج والاستلال الحجاجي، ص 129.

1- وسائل الإقناع أو البراهين.

2- الأسلوب أو البناء اللغوي.

3- ترتيب أجزاء القول.

وهناك عنصرا آخر هو الإلقاء الذي اعتبره الدارسون للخطابة بعد أرسطو، ومنهم البلاغيون العرب عنصرا مستقلا ويتضمن الحركة والصوت.

كما أن الحجج والبراهين عنده من أهم الأسس التي تبنى عليها الخطابة، وهذا ما تناوله في كتابه "الخطابة" حيث سماها التصديقات

فيقول: « أما التصديقات فبعضها غير صناعية وبعضها صناعية»<sup>(1)</sup>؛ "فالغير الصناعية يقصد بها تلك الحجج التي لا تكون للخطبة دخل فيها وهي خارجة عن نطاق تصرفه، واجتهاده والصناعية و يقصد بها " الحج التي يقوم المحاجج بصناعتها ونحتها اعتماد على معايير عقلية منطقية. ويشير أرسطو أيضا إلى أن البلاغة فنا خطايا بامتياز إذ يستخدم أدوات حجاجية و استدلالية ومنطقية للتأثير في الأخر، وإقناعه ذهنيا ووجدانيا إذ يبرز ذلك المحاجج عبر مجموعة من الوسائل الأدائية فلا بد أن يتحقق عبر اللوغوس الذي يعني الكلام والحجج والأدلة أي ما يتعلق بكلام المتكلم، وما تحمله اللغة داخلها من حجج منطقية إذ يظهر ذلك في نسق الرسالة التواصلية.

وإما أن يتحقق عبر الايتوس والذي يتمثل في مجموعة من القيم الأخلاقية والفضائل العليا التي ينبغي أن يتحلى بها الخطيب.

وإما أن يتجسد في الباتوس الذي يتعلق بالمخاطب، ويكون في شكل أهواء وانفعالات أي ما يتعلق بأقوال السامعين و نفسيا تهم<sup>(2)</sup>.

أما في انتقاده للفسطائيين فقد ركز على إنتاج الحجج عندهم وما يتعلق به من آليات، وخاصة الشرك القولية التي كانوا ينصبونها للإقناع بخصومهم، وقد ذكر أن لحجاجهم خمسة أهداف: التبكيث، الإيقاع في الخطأ، الدفع إلى مخالفة المشهور، استعمال صيغ لغوية غير مألوفة، وأخيرا دفع المجيب إلى الكلام الفارغ<sup>(3)</sup>.

(1) - محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، ط2، 2002، ص 24.

(2) - جميل حمداوي: من الحجج إلى البلاغة الجديدة، ص 26.

(3) - محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجج في البلاغة المعاصرة، ص 34.



وبهذا التوجه يكون أرسطو قد حول مسار الخطابة والحجاج عامة من كونهما قائمتين على التأثير والتحريض والتملق إلى كونهما عمليتين برهانيتين عقليتين<sup>(1)</sup>.

مما سبق ذكره نستنتج أن "أرسطو" اعتبر أن الحجاج جزء لا يتجزأ من الخطابة، كما أن هدفه تخلص الخطاب مما قد يعتريه من تزييف وتملق وركاكة.

### ب- عند المحدثين:

#### \* الحجاج عند بيرلمان وتيتكاه:

تعتبر جهود اليونانيين موروثاً حقيقياً أسهم بشكل كبير في بناء نظرية الحجاج المعاصرة، هذه النظرية المعاصرة أعادت النظر في البلاغة اليونانية القديمة وقراءتها قراءة جديدة يوظف فيها ما توصلت إليه اللسانيات العامة أو المعاصرة، وإذ كان الحجاج قد أولى اهتماماً على بلاغتي التأويل والتلقي، إلا أن تأصيله كمبحث قد اتضح مع جهود المدرسة البلجيكية ورائدها "بيرلمان"، وبهذا حظي الحجاج باهتمام كبير من قبل الدارسين وأصبح موضوعاً قائماً بذاته، وبهذا "بيرلمان" قد ألف كتاب "مصنف الحجاج- الخطابة الجديدة" بالاشتراك مع زميله "تيتكاه"، الذي أرسى من خلاله نظريته الحجاجية، حيث قسم كتابه إلى ثلاثة أقسام على النحو الآتي :

القسم الأول: تناول فيه أطر الحجاج.

القسم الثاني: خصصه لمنطلقات الحجاج.

القسم الثالث: تطرق فيه إلى تقنيات الحجاج.<sup>(2)</sup>

فالغاية من هذا الكتاب هو إخراج الحجاج الذي هو عند المؤلفين سليل الخطابة والجدل معاً، الفترات طويلة في القديم مرادفاً للمنطق نفسه وبهذا فالباحثان قد عملا من ناحية أولى على تخلص الحجاج من التهمة اللائقة بأصل نسبه وهو الخطابة ومن الناحية الثانية عمل الباحثان على تخلص الحجاج من صرامة الاستدلال الذي يجعل المخاطب به في وضع ضرورة وخضوع، فالحجاج عندهما معقولية وحرية وهو حوار من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتحاورة ومعنى هذا أن الحجاج عكس العنف.<sup>(3)</sup>

كما لقي هذا الكتاب اهتماماً من قبل الدارسين المحدثين، يضاف إلى ذلك تأليفه لكتاب "إمبراطورية البلاغة" الذي لا يقل أهمية عن مؤلفه، إذ يعد تلخيصاً لمصنفه في الحجاج وخلاصة لأعماله وبحوثه الحجاجية والبلاغية،

(1)- المرجع السابق: ص 41.

(2)- عبد الله صولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011، ص 12.

(3)- ينظر: حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، ص 298.

وهذا الكتاب يتكون من مقدمة وأربعة عشر فصلا تحدث فيها عن الحجاج ومنطلقاته ومن خلال هذين المؤلفين سعى "بيرلمان" إلى تأسيسه "نظرية الحجاج".

فالإيجاز البلاغي الجديد الذي حققه "بيرلمان" لم يأت من العدم بل خرج من صلب البلاغة الكلاسيكية الأرسطية التي تلونت بالصبغة الحجاجية إذ شكلت إغراء له، فهذا ما ارتقى به إلى درجة الإعجاب حتى سماها "إمبراطورية البلاغة"، فنجد "بارث" وصفها بحضارة الغرب، نظرا لثرائها وغنى مورثها البلاغي القديم، من هنا انطلق "بيرلمان" في بداية مساره البلاغي من القديم وبالتحديد من "أرسطو" مقتضيا في ذلك التراكمية العلمية التي تنبني عليها العلوم، كما أنه حاول بناء بلاغة جديدة تمتاز إلى حد ما عن هذا القديم تحت إطار عام مفاده أن: «النظرية الحجاجية التي تكون مطابقة للبلاغة»<sup>(1)</sup>؛ هذا ما يدفعنا إلى الإقرار بأن "أرسطو" وضع اللبنة الأولى للدرس البلاغي أو النظرية الحجاجية في حين طورها بيرلمان بشكل جعلها تتماشى وروح العصر.

حيث جسد "مصنعه في الحجاج" الاتجاه القوي حول بلاغة الإقناع وكان بذلك إجابة معرفية عن مأزق المنطق الصوري وعجزه في الفكر المعاصر عن التعامل مع القضايا، فالعودة إلى بلاغة الإقناع وتطوير نظرية الحجاج في مشروع "بيرلمان" حمل وعيا حادا بمحدودية المجال الذي يغطيه المنطق الصوري، وبالتصلب البرهاني للعقلانية الديكارتيّة، إذ اعتبر "بيرلمان" أن هذا التصور الديكارتي قاد إلى حصر غير مبرر للمجالات الواسطة والممتدة للفكر الإنساني، هذه المجالات التي تقوم على الضرورة والبدهة هي ما يشكل موضوع الحجاج، يقول: "بيرلمان" في "إمبراطورية البلاغة": «إننا نلاحظ أنه في الميادين التي يتعلق فيها الأمر بالمفضل والمقبول والمعقول، فالاستدلالات ليست استنباطات شكلية أو استقراءات... بل حججيات»<sup>(2)</sup>؛ ولذلك فالحجاج مسار آخر للاستدلال، يتصدى لفكرة البدهة والحتمية وينسجم مع خصوصية العلوم الإنسانية القائمة على تعدد العقل والحقائق والأحكام.

فموضوع النظرية البرلمانية تتخذ من دراسة الخطاب غير البرهاني، ومن تحليل الاستدلالات التي لا تقف عند حدود الاستدلالات الصورية موضوعا لها، ذلك أن هذه المقاربات الصورية عاجزة عن استيعاب الاستدلالات اليومية التي تدخل في حيز اهتمامات الحجاج، ومن ثم فإن هذه النظرية تشمل كل خطاب غايته الإقناع بغض

(1) - محمد سالم محمد أمين الطلبة : مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ص 179.

(2) - ينظر: عبد اللطيف عادل ، بلاغة الإقناع في المناظرة، صص 84-85.

النظر عن هوية المستمع الذي يوجه إليها الخطاب والمادة المطروحة، بشرط أن يكون محتملا وليس يقينيا (أي أنه يقبل الطعن أو الشك في الاستنتاجات والحقائق التي يتوصل إليها).

ومن هذا المنطلق يرى "بيرلمان" أن الحجاج لا يكون أبدا في موضع يسمح له بإدعاء اليقين ولا جدوى من الحجاج ضد ماهو يقيني... فالحجاج لا يتدخل إلا في الحالات التي يكون فيها اليقين موضع الطعن.

كما أن نظرية الحجاج التي يتبناها "بيرلمان" وزميله عقدت صلات واسعة مع مباحث علم النفس، حيث أولى مصنفهما أهمية للأطر النفسية كما الاجتماعية ودورها في تحقيق التأثير الفعال للخطاب، بقولهما:

« فليس الحجاج في النهاية سوى دراسة لطبيعة العقول ثم اختيار أحسن السبل لمحاورتها والإصغاء إليها، ومحاولة لحيازة انسجامها الإيجابي والتحامها مع الطرح المقدم، فإذا لم توضع هذه الأمور النفسية والاجتماعية في الحسبان فإن الحجاج يكون بلا غاية وبلا تأثير»<sup>(1)</sup>؛ ويبدو من هذا كله أن "بيرلمان" وزميله قد عمدا إلى إحياء البلاغة القديمة ولكن في ثوب جديد هو الحجاج.

وبهذا يصبح الحجاج منفتحا على مجالات وعلوم متعددة كالفلسفة والقانون، إذ يعمل الحجاج على إثرائها بعده وسيلة تخاطب وتفكير وتأثير حيث يقول "بيرلمان": « بالإمكان إتمام نظرية الحجاج إذا كان ذلك مفيدا بمنهجية مختصة بحسب نمط المستمع وجنس المعرفة، وهكذا نستطيع أن نقيم منطقا قانونيا ومنطقا فلسفيا، قد نعهما مجرد تطبيقات خاصة على البلاغة الجديدة وعلى القانون وعلى الفلسفة»<sup>(2)</sup>.

ومما سبق ذكره نرى أن الحجاج عنده لا ينحصر في الفلسفة والقانون فحسب بل يشمل كل نواحي الحياة، وكل ماله صلة بالإنسان وحياته اليومية التي تعد خزاننا للحجاج، إذ يقول: « إن الحياة اليومية والعائلية والسياسية توفر لنا كما هائلا من أمثلة الحجاج البلاغي، إن أهمية هذه الأمثلة المنتمية إلى الحياة اليومية تكمن في التقارب الذي تسمح به مع الأمثلة التي يوفرها الحجاج الأكثر سموا عند الفلاسفة والقانونيين»<sup>(3)</sup>؛ فمجال الحجاج هنا يتجاوز الحدود الضيقة (الفلسفة والقانون) ليغطي بذلك كل ميادين الحياة، فيصح ذا فعالية عقلية اجتماعية وحياتية. يمكننا أن نخلص إلى أن بيرلمان أعاد الاعتبار لبلاغة الخطاب، كما أنه وسع مجالها قصد التأكيد على أهميتها ومكانتها بين العلوم الأخرى، وهذا خلافا لما كان سائدا عند

(1) - ينظر: المرجع السابق، صص 86-87.

(2) - ينظر: نورالدين بوزناشة، الحجاج بين الدرس البلاغي العربي و الدرس اللساني الغربي - دراسة تقابلية - أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، جامعة ملين دباغين، سطيف، الجزائر، 2015، 2016، صص 98-99.

(3) - ينظر: المرجع نفسه، ص 99.

البلاغيين اليونان الذين قللوا من دورها وحصروا حدودها، وبذلك أسس النظرية الحجاجية الحديثة، كما يعتبر كتابهم مصنف

في الحجاج المعجم الحقيقي الجمل لكل أشكال الحجج وتأثيرها.

### \* الحجاج "عند ديكرو" و"أوسكمبر" :

يختلف اتجاه "ديكرو" الحجاجي عن مسار بيرلمان الذي اصطبغ الحجاج عنده بصبغة بلاغية منطقية، في حين نجد أن منطق "ديكرو" يختلف عنه تمام الاختلاف، إذ كان منطلقه لسانيا تداوليا "فديكرو" يعد من مؤسسي نظرية الحجاج منذ سنة 1973 إذ يعدها نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي تكون لدى المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف أو الغايات الحجاجية، ثم أنها تنطلق من فكرة مفادها: "أنا نتكلم عامة بقصد التأثير".<sup>(1)</sup>

ولذلك فإن هذه النظرية تريد أن تبين أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، إذ هناك مؤشرات مختلفة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها، حيث إن نظرية الحجاج في اللغة انبثقت من داخل نظرية الأفعال اللغوية التي وضع أسسها "أوستين وسورل"، ثم قام "ديكرو" بتطوير أفكارهما و آرائهما بالخصوص "أوستين" فأضاف فعليين لغويين هما فعل الاقتضاء و فعل الحجاج، وقد قام "ديكرو" بإعادة تعريف مفهوم التكليم والإنجاز (التلفظ)، وتمسكه بالطابع العربي للغة، إذ يعرفه: « بأنه فعل لغوي موجه لإحداث تحويلات ذات طبيعة قانونية أي مجموعة من الحقوق والواجبات، ففعل الحجاج يفرض على المخاطب نمطا معينا من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار». <sup>(2)</sup>

وعلى هذا فالقيمة الحجاجية لقول ما هي نوع من الإلزام يتعلق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص تناميته واستمراره. ولذلك فإن العلاقات الشرعية القانونية الحقوق، الواجبات محددة في المجال الخطابي الذي يتوقع فيه المتكلم والمخاطب، ومنه يصبح الخطاب بذلك غاية لا وسيلة .

فالحجاج عند "ديكرو" وزميله "أوسكمبر" في المشترك "الحجاج في اللغة" كامن من حيث بنيته في اللغة ذاتها، كما يدل على ذلك عنوان كتابهما إذ أن الحجاج: "يكون بتقديم المتكلم قولا ق1 أو مجموعة أقوال يفضي إلى التسليم بقول آخر ق2، ف ق1 تمثل حجة ينبغي أن تؤدي إلى ظهور ق2، ويكون هذا قولا صريحا أو ضمنيا، فهو إنجاز لعمليتين هما عمل التصريح بالحجة من ناحية وعمل الاستنتاج من ناحية أخرى، سواء كانت

<sup>(1)</sup> - ينظر : أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، المرجع نفسه، ص14.

<sup>(2)</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص16.



النتيجة مصرحا بما أو مفهومة من ق1<sup>(1)</sup>. وبهذا حصر الباحثان درس الحجاج في نطاق دراسة اللغة لا في البحث عما هو واقع خارجها.

إن اللغة تحمل بعدا حجاجيا في جميع مستوياتها، فهي عند "ديكرو" وسيلة سجالية **polemique** في جوهرها، ومسرح لظهور المقتضي باعتباره شكلا من أهم الأشكال الحجاجية الكامنة فيها. يقول في هذا الصدد: « ليس المقتضي حدثا بلاغيا مرتبطا بالقول، وإنما هو منغرس في اللغة نفسها، وهو يدعونا إلى ضرورة أن نعتبر اللغة، بصرف النظر عن استعمالاتها المختلفة لها، مسرح محاورة واجهة بين الذوات البشرية»؛<sup>(2)</sup> فالمقتضي باعتباره أداة حجاج ناجعة يحصل في رأي "ديكرو" من التركيب وهو أمر بديهي، ولكنه يحصل في رأيه أيضا من الكلمة.

أصنف إلى هذا فالحجاج عندهما لا تحدده الاعتبارات المنطقية والخارجية بل يتركز على اللغة، من هنا ميز "ديكرو" بين الاستدلال العقلي والحجاج، « فالأول مرتبط بالمنطق والثاني مداره على الخطاب، والخطاب يكتسي حجاجيته في قدرته على أن يفرض على المخاطب نوعا محددا من النتائج»<sup>(3)</sup>؛ وبهذا أهمل "ديكرو" وصاحبه الأسس الفلسفية والمنطقية في الحجاج وركز على بنية الأقوال حيث انتهى إلى أن اللغة تحمل في طياتها بعدا حجاجيا كامنا في صميم بنيتها الداخلية، إذن فالحجاج اللغوي ينطلق من اعتبار اللغة الآلية الوحيدة الكفيلة باكتشاف الوجهة الحجاجية كما أن الوظيفة الحجاجية عندهما تكمن في التوجيه « حتى أنهما حصر دلالة الملفوظ في التوجيه عنه، ويحصل هذا التوجيه في مستويين: مستوى السامع ومستوى الخطاب نفسه خاصة مع ما بين المستويين من تداخل »<sup>(4)</sup>؛ ففي المستوى الأول لا يهدف المتكلم إلى تقديم معلومات (الإخبار) إلى المتلقي بل يسعى إلى التأثير فيه ودفعه إلى إنجاز سلوك معين، في المستوى الثاني (الخطاب) فعندما يستعمل المتكلم اللغة فعليه أن يراعي في استعماله للغة المنظور الحجاجي اللغوي، فاللغة تعتبر فعلا حجاجيا.

فالوظيفة الحجاجية حسب "ديكرو وأوسكمبر": «انجاز تسلسلات إستنتاجية داخل الخطاب، فيكون

الحجاج في اللغة إذن إنتاج متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج وبعضها الآخر هو بمثابة

<sup>(1)</sup> - ينظر عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائص الأسلوبية، دار الفريابي، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص33.

<sup>(2)</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 35.

<sup>(3)</sup> - ينظر: عبد اللطيف عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، الزباط، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص97.

<sup>(4)</sup> - عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، صص35-36.

النتائج». (1)

أضف إلى هذا فنظرية الحجاج تقوم في اللغة على جملة من المفاهيم تفسر اشتغالها نذكر من بين هذه المفاهيم العلاقة الحجاجية، المواضيع الحجاجية، الاتجاه الحجاجي، القوة الحجاجية والسلم الحجاجي.

1- **العلاقة الحجاجية:** يعد الحجاج في هذه النظرية علاقة دلالية تربط بين الأقوال، إذ أن هذه الأقوال لا تكتسي طبيعتها الحجاجية إلا ضمن سياق معين، فما يمكن أن يكون حجة في هذا السياق قد لا يكون كذلك في سياق آخر، حتى وإن تعلق الأمر بنفس المحتوى أو بنفس الحدث المعبر عنه داخل القول؛ إذن فالعلاقة بين الأقوال / الحجج والأقوال / النتائج تسمى علاقة حجاجية وهي بدورها علاقة خطائية، تسيرها وتؤطرها المواضيع الحجاجية. (2)

2- **المواضع الحجاجية:** إن الانتقال الخطابي حسب "ديكرو وأوسكمبر" من ملفوظ /حجة إلى ملفوظ /نتيجة يتم بتطبيق جملة من المبادئ العامة، وسماها مواضع وهي عندهما عماد الحجاج والخلفية التي يقوم عليها النشاط الحجاجي.

فالمواضع هي قواعد عامة تجعل من الممكن إنجاز حججات خاصة، كما تنتمي إلى المعاني المشتركة، فاختيار المواضع يعني اختيار اتجاه حجاجي. (3)

3- **الاتجاه الحجاجي:** إن التوجيه الحجاجي يقصد به إسناد اتجاه معين لقول ما بغرض بلوغ نتائج محددة، فهذا التوجيه يوسع أو يضيق الاحتمالات الحجاجية ليقودها في اتجاه معين تحدده البنية اللغوية للخطاب، وهو بدوره يتضمن قرائن حجاجية. (4)

4- **القرائن الحجاجية:** وتنقسم بدورها إلى نوعين :

أ- **العوامل الحجاجية:** وهي عناصر لغوية اسنادية نحوية أو معجمية ولا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج)، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما. وقد أدرج "ديكرو" مفهوم العامل الحجاجي في مقالاته ولنوضح هذا المفهوم بشكل أكثر ندرس المثالين الآتين: الساعة تشير إلى التاسعة.

لا تشير الساعة إلا إلى التاسعة.

(1) - ينظر: المرجع السابق، ص 97.

(2) - ينظر: المرجع نفسه: ص 98.

(3) - ينظر: المرجع نفسه، صص 98-99.

(4) - ينظر: المرجع نفسه، ص 99.

فعندما أدخلنا على المثال الأول أداة القصر "لا...إلا" وهي عامل حجاجي، فالملاحظ أنه لم ينتج عن ذلك أي اختلاف بخصوص القيمة الإخبارية، ولكن الذي تأثر بهذا التعديل هو القيمة الحجاجية للقول أي الإمكانات الحجاجية.<sup>(1)</sup>

**ب- الروابط الحجاجية:** هي مكونات لغوية تداولية، تربط بين قولين أو بين حجتين على الأصح، وتستند لكل قول دورا محددا داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة، كما أنها تربط بين المتغيرات الحجاجية (أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج)، ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات التالية: (بل، لكن، حتى، لا سيما، إذن، لأن، بما أن، إذ...).<sup>(2)</sup>

**5- القوة الحجاجية:** هي تلك الحجج المنتمة للقسم الحجاجي و هذا الأخير حسب "ديكرو" أن المتكلم في مقام خطابي معين إلى وضع قولين (ق1، ق2).

ويعتبرهما حجتين تخدمان نفس النتيجة وهو يقوم على تظافر الحجج لخدمة إستراتيجية واحدة، إذ إن الحجج المنتمة إليه تتفاوت لأنها تربط فيها بينها بعلاقة تراتب، فتتضمن حجج قوية وحجج ضعيفة، والحجة كما أقرها ديكرو: "تؤكد النتيجة ولا تفرضها".<sup>(3)</sup>

وبهذا فالعلاقة التراتبية بين الحجج واختلافها يقود "ديكرو" إلى تمثيلها ضمن ما سماه بالسلم الحجاجي.

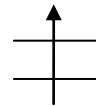
### 6- السلم الحجاجي :

يعد السلم الحجاجي فئة حجاجية إذ يقول: "ديكرو" : « إن أي حقل حجاجي ينطوي على علاقة تريبية (لحجج) نسميه سلما حجاجيا »<sup>(4)</sup>

ومن هذا فالحجج حينما تتفاوت ضمن نفس الحقل الحجاجي تكون سلما حجاجيا، وقد مثل ديكور لهذا السلم بالخطاطة التالية:

R النتيجة

حيث ترمز p للحجة الأقوى p



حيث ترمز p للحجة الأقل p

<sup>(1)</sup> - ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، صص 27- 28.

<sup>(2)</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 27.

<sup>(3)</sup> - ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، صص 100-101.

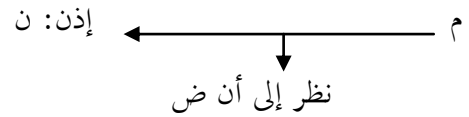
<sup>(4)</sup> - المرجع نفسه: ص 101.

وقد وقف "ديكرو" في تحليله لهذا المفهوم عند نعوت حالة الجو، وتتبع بعض المشيرات الكمية ( petit –grand )، كما شغل بعض الروابط الحجاجية ( persque ، mais ،même ).<sup>(1)</sup>  
 من خلال السلم الحجاجي الموضح نجد أن الحجج ليست مطلقة كما أنها لا تتساوى بل تتدرج قوة وضعفا.  
 \* الحجاج عند تولمين:

يتضح لنا مفهوم الحجاج عند "تولمين" من خلال بحثه المقدم في عام 1958 بعنوان **the uses of argument** الذي يهدف إلى دراسة الأدوات الحجاجية في الاستخدام اللغوي وقد صاغها عبد الله صولة كالآتي:

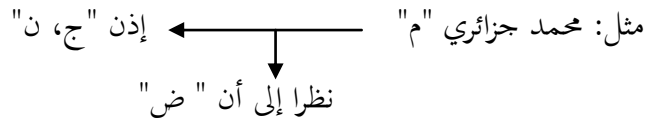
الأول: وفيه نجد أن الرسم الحجاجي ذا ثلاثة أركان أساسية:

المعطي "م" والنتيجة "ن" والضمان "ض" ويمكن صياغته على النحو التالي:



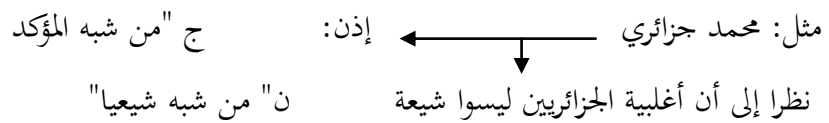
مثل: محمد جزائري "معطى" ←—————|————— إذن النتيجة ليست شيعيا  
 |  
 الضمان يكون ضمني " نظرا إلى أن أغلبية الجزائريين ليسوا شيعة"

الثاني: أما الثاني فهو تدقيق للرسم الأول أي أنه يمثل حججا أدق من الأول، إذ يضاف إليه عنصران هما عنصر الموجه "ج"، وعنصر الاستثناء "س" الذي يمثل شروط رفض القضية.



محمد جزائري "معطى" ←—————|————— ليس شيعيا "موجه نسبه مؤكد"  
 |  
 إلا إذا تشيع خلال رحلته إلى إيران "استثناء"

الثالث: هذا العنصر يمثل حججا أكثر دقة من العنصرين السابقين، وذلك بإدخال "إضافة" عنصر الأساس "أ" الذي يبنى عليه الضمان "ض"



<sup>(1)</sup> - المرجع السابق: ص 101.

س " تشيع أثناء الحكم أن نسبة الشيعة لا تكاد تذكر في الجزائر<sup>(1)</sup>

وبهذا نرى أن تولمين يعتبر أن الحجاج ليس مجرد تابع للقضايا كما كنا نرى بل تفاعلا بين الأطراف المهمة في المحادثة، فهو بذلك حوار ليس مناجاة.

2- الدرس الحجاجي عند العرب: (الجاحظ، أبو هلال العسكري) .

أ- عند القدماء .

\* الحجاج عند الجاحظ:

إن جل المصنفات القديمة لا تخلو من مصطلح الحجاج، وقد ورد بتسميات مختلفة كالجدل والبيان وغيرها، فهذا "الجاحظ" تطرق في كتابه "البيان والتبيين" إلى فصول عدة إذ جعل فيها ما يتعلق بالحجاج فحاول توضيح هذا المفهوم بقوله: « أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ متخير اللفظ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوق، ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة ولا يدقق المعاني كل التدقيق، ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح، ولا يصفىها كل التصفية، ولا يهذبها غاية التهذيب »<sup>(2)</sup>.

وفي المضمار نفسه أورد "الجاحظ" مفهوم البيان قائلا: « البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصلة كائنا ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان الدليل لأن مدار الأمر والغاية من التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت من المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع »<sup>(3)</sup>؛ وبهذا نستنتج أن "الجاحظ" يوضح مفهومي البيان والبلاغة مستشهدا بما لدى الأمم الأخرى، مما يمكنه من تحديد آلة البلاغة.

كما نجد كذلك أولى اهتمامه في كتابه البيان والتبيين مع المتكلم ( الخطيب ) الذي يعتبر العنصر الأساسي والرئيسي في العملية التواصلية في حين تطرق أيضا إلى العيوب النطقية التي تنقص من قيمة الخطيب، وفي الوقت ذاته أشار إلى سلامته من هذه العيوب النطقية والكلامية وذلك من أجل إقناع المتلقي والتأثير فيه. وبهذا فصل الجاحظ القول فيما يخص الخطيب من صفات جسدية وملكات ذهنية فلم يقتصر حديثه على تعداد

(1) - ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، صص 25، 22.

(2) - أبو عثمان عمر بن الجاحظ، البيان والتبيين، تح، عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، د، ط، د ت ج 01، ص 92.

(3) - المرجع نفسه: ص 76.

مميزات الخطيب الإيجابية التي تمنح خطابه القبول كما نبه أيضا على الخصائص السلبية التي تضعف من موقفه مثل العيوب النطقية.

وقد تطرق "الجاحظ" أيضا إلى أساليب وتقنيات البيان إذ يقول: «البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة وإلى ترتيب ورياضة وإلى تمام الأدلة وأحكام الصنعة وإلى سهولة المخرج وجهارة المنطق وتكميل الحروف وإقامة الوزن وأن حاجة المنطق إلى الطلاوة والحلاوة وكحاجته إلى الجلالة والرخامة وأن ذلك من أكبر ما تستمال به القلوب وتنشئ إليه الأعناق وترزين به المعاني»<sup>(1)</sup>؛ فالجاحظ هنا يبين لنا الصفات التي يجب أن تتوفر في المتكلم وتجعل من الخطيب ناجحا، يستطيع إيصال المعنى بشكل واضح، إذ أن المتكلم من خلال خطابه يهدف إلى إقناع المتلقي واستمالته وذلك بتقديم الحجج والبراهين والأدلة المناسبة لذلك.

ويتضح لنا أن الغاية القصوى عند الجاحظ في كتابة البيان والتبيين هي الخطاب الإقناعي الشفوي: «وهو إقناع تقدم فيه الغاية (الإقناع) على الوسيلة (اللغة) وتحدد الأولى طبيعة الثانية وشكلها حسب المقامات والأحوال وهذا الخطاب الإقناعي عنده لم يقتصر على جنس بعينه»<sup>(2)</sup>؛ ومن هذا كله نجد أن "الجاحظ" في دراسته للبيان أقام نظرية للحجاج والإقناع، وجعل المتكلم المحور الرئيسي والأساسي في العملية التواصلية.

#### \* الحجاج عند أبو هلال العسكري :

الحجاج عند "أبو هلال العسكري" مرتبط بالشعر، فهو يرى أن للشعر وظيفة حجاجية كبرى لأن الشاعر يقول كلاما يحس به ويشعر به دون غيره من الناس، فهو يريد أن يحقق أهدافا ومراميا حجاجية من خلال شعره، يقول: "أبو هلال العسكري": «وهو الذي يملك ما تعطف به القلوب النافرة ويؤنس القلوب المستوحشة وتلين به العربية الأبية المستعصية ويبلغ به الحاجة وتقام به الحجة»<sup>(3)</sup>؛ فالشعر هو الفن الأساس الذي تقام به الحجج، وحسب "أبي هلال العسكري"، فالشعر ينهض بوظيفة الحجاج وليس بوظيفة الجدل، كما تطرق أيضا إلى قضية المقام وكيف يضطلع في الحجاج.

(1) - المرجع السابق: ص 16.

(2) - عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 01، 2004، صص 448-449.

(3) - أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، تح: علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 2006، صص 49.



ب- عند المحدثين:

أولى العرب المحدثون اهتمامهم بالحجاج وظهر ذلك في عدة مقالات وكتب، ومن بين الدارسين الذين اهتموا بالحجاج نجد: الدكتور "طه عبد الرحمن" من خلال كتابه "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي" إذ ضمن بابا فيه سماه الخطاب والحجاج، وعرف فيه الحجاج بأنه: «كل منطوق موجه للغير إلهامه دعوى مخصوصا»<sup>(1)</sup>.

وصنفه إلى ثلاثة أنواع وهي: الحجاج التجريدي والحجاج التوجيهي والحجاج التقويمي.<sup>(2)</sup>

وقد استعرض أيضا في كتابه هذا أنواع الحجج وركز على السلم الحجاجي بوصفه عمدة في الحجاج، وأفرد له فصلا خاصا ولم يقف عند هذا الحد بل ذهب إلى دراسة الاستعارة من وجهة نظر حجاجية مؤصلا لها كما وردت عند "عبد القاهر الجرجاني"<sup>(3)</sup>.

كما انبنت بعض الأعمال العربية على المزاجية بين القديم العربي والحديث الغربي، باستثمار الأعمال المبتوثة والنظريات الخالصة، ومن أبرز هذه الأعمال ما فعله بشكل رئيس في عدد من دراسته ومنها كتابه: "في أصول الحوار وتحديد علم الكلام" إذ يتغني من وراءه إيجاد رابط منطقي لغوي ليطوعه في سبك نظرية تأخذ بقوة المنطق وسلامة اللغة.<sup>(4)</sup>

كما أسهم "أبو بكر العزاوي" في هذا المضمار بعدد من الكتب والمقالات نذكر منها كتاب: "اللغة والحجاج" الذي درس فيه بعض الجوانب الحجاجية في اللغة العربية، وأعطى تعريفا للحجاج إذ يقول: «هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات إستراتيجية داخل الخطاب وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها»<sup>(5)</sup>.

ومن مقالاته أيضا ما جاء بعنوان: "نحو مقارنة حجاجية للاستعارة" إذ طبق فيها مفهوم السلم الحجاجي على الاستعارة، وبذلك درس الاستعارة من وجهة حجاجية وانتهى فيها أن الأقوال الاستعارية أعلى حجاجا من الأقوال العادية لذلك يقدم المرسل الحجة الاستعارية في بعض السياقات بوصفها الدليل الأقوى، كما أن أعماله لم

(1)- ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1997، ص226.

(2)- ينظر: المرجع نفسه، ص226، 228.

(3)- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص451.

(4)- ينظر: المرجع نفسه، ص451.

(5)- أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، دار البيضاء، المغرب، ط1، 2006، ص16.

تقتصر على معالجة الخطاب النثري بل تجاوزه إلى تحليل الخطاب الشعري، فقسمه إلى شعر حجاجي وشعر غير حجاجي.<sup>(1)</sup>

في حين ميز "أبو بكر العزاوي" في كتابه اللغة والحجاج « بين الاستدلال والحجاج، إذ يرى أنهما ينتميان إلى نظامين مختلفين جدا فالاستدلال ينتمي إلى المنطق والحجاج إلى الخطاب».<sup>(2)</sup>

إلى جانب "طه عبد الرحمن" و"أبو بكر العزاوي" نجد بعض الدارسين الذين اسهموا في درس الحجاج مثلما فعل "حسان الباهي" فقد عرض له عند مقارنته بالبرهان في كتابه: "اللغة والمنطق بحث في المفارقات"، أضاف إلى هذا دراسته للحجاج من وجهة نظر مختلفة تعنى ببيان كيفية توظيف المغالطة في الحجاج وذلك في مقالة مستقلة بعنوان "الحجاج المغالطي بين المفهوم والمقصود" والذي يبين فيه طبيعة القول المغالطي ومقاصد المغالطة المخاطبية وأساليبها.<sup>(3)</sup>

وهناك أيضا من حاول تأصيل الحجاج في التراث العربي مثلما فعل م "حمد الواسطي" في مقاله "أساليب الحجاج في البلاغة العربية"، إذ عرض استقراء لمفهوم الحجاج في بعض المصنفات التراثية، كما عرض لبعض الأساليب مثل المذهب الكلامي وحسن التعليل والمبالغة والتشبيه الضمني والاستعارة وقد استشهد بآيات من القرآن الكريم وآيات من الشعر.<sup>(4)</sup>

بناء على ما تقدم نستنتج أن الدراسات العربية القديمة والحديثة قد اهتمت بالحجاج وأولته عناية كبيرة باعتباره وسيلة من وسائل الإقناع، وهذا ما نراه في مؤلفاتهم.

### 3- أنواع الحجاج :

لقد تطرق طه عبد الرحمن في كتابه "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي" إلى ثلاثة أنواع من الحجاج: الحجاج التجريدي والحجاج التوجيهي والحجاج التقويمي، إذ يختلف كل نوع عن الآخر وذلك حسب اهتمامات كل واحد من هذه الأنواع سواء في الشكل أو في المضمون أو في فعل التلقي.

#### أ. الحجاج التجريدي:

إن هذا النوع من الحجاج يهتم فقط بالشكل دون المضمون يعني بالعبارات دون الاهتمام بمضامينها ومقاماتها، وعليه فالمقصود بالحجاج التجريدي هو: « الإتيان بالدليل على الدعوى على طريقة أهل البرهان،

(1) - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص 452.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، أبو بكر العزاوي، ص 17.

(3) - ينظر: المرجع نفسه، ص 453.

(4) - ينظر: المرجع نفسه، ص 451.

علما أن البرهان هو الاستدلال الذي يعني بترتب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النظر على مضامينها واستعمالاتها»<sup>(1)</sup>.

وحسب "طه عبد الرحمن"، فالحجاج التجريدي هنا مجرد من صفة التداولية ويذهب مجرى البرهان. «إذ يتبين أن الحجّة المبنية على التجريد أو قل الحجّة المجردة ليست إلا مظهرا من مظاهر الاستدلال في الخطاب الطبيعي، أو رتبة دنيا من مراتب هذا الاستدلال، إذ لا يقع التوسل بها إلا عند إرادة تقليد الأمر الصناعي، وتبني أصلا مع اعتبار الصورة والعناء المضمون والمقام»<sup>(2)</sup>؛ وهنا أعطى الحجاج التجريدي اهتماما كبيرا بالعبارات وأهمل مضامينها ومقاماتها.

### ب. الحجاج التوجيهي:

هذا النوع من الحجاج يهتم فقط بالمخاطب وانشغاله بإيصاله رسالته إلى المخاطب دون الاهتمام برودة فعل المخاطب ورأيه والمقصود به هو: « إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل، علما بأن التوجيه هو هنا فعل إيصال المستدل لحجته إلى غيره، فقد ينشغل المستدل بأقواله من حيث إلقاؤه لها ولا ينشغل بنفس المقدار بتلقي المخاطب لها وردة فعله عليها، فتجده يولي أقصى عنايته إلى قصوده وأفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة، غير أن قصر اهتمامه على هذه القصود الأفعال الذاتية يفرضي به إلى تناسي الجانب العلائقي من الاستدلال، هذا الجانب الذي يصله بالمخاطب ويجعل هذا الأخير متمتعا بحق الاعتراض»<sup>(3)</sup>؛ فالحجاج التوجيهي هنا يولي اهتمامه بالتكلم وانشغاله بالاتصال رسالته إلى المتلقي مع إهماله لردة فعل المتلقي ورأيه.

وعلى نقيض هذا النوع من الحجاج هناك نوع آخر يهتم بالمخاطب ورأيه وهو الحجاج التقويمي.

### ج. الحجاج التقويمي:

وهذا النوع من الحجاج يهتم بالمخاطب وخطابه وبرودة فعل المخاطب فهو لا يتوقف في حدود المخاطب فقط، فالمقصود بالحجاج التقويمي هو: « إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرد من نفسه ذات ثانية ينزلها منزلة المعترض على دعواه، فها هنا لا يكتفي المستدل بالنظر في فعل إلقاء الحجّة إلى المخاطب، واقفا عند حدود ما يوجب عليه من ضوابط وما يقتضيه من شرائط، بل يتعدى ذلك إلى النظر

<sup>(1)</sup> - طه عبد الرحمن اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، ط01، 1998م، صص 226-227.

<sup>(2)</sup> - المرجع نفسه: ص227.

<sup>(3)</sup> - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص 470.

في فعل التلقي باعتباره هو نفسه أول متلقي لما يلقي، فيبني أدلته على مقتضي ما يتعين على المستدل له أن يقوم به مستبقا إمكانات تقبلها واقتناع المخاطب بها<sup>(1)</sup>؛ و على هذا فالحجاج التقويمي أولى اهتمامه وعنايته بالتكلم، كما اهتم أيضا برده فعل المتلقي.

#### 4- وسائل وتقنيات الحجاج:

لقد تعددت وجهات نظر الدارسين في تحديد أشكال الحجاج وتقنياته، حيث تطرق "محمد سالم محمد الأمين الطلبة" في كتابه: "الحجاج في البلاغة المعاصرة" إلى تقنيات الحجاج عند "بيرلمان وتيتكاه" اللذين حصرا هذه التقنيات في نوعين نوع يقوم على طرائق الوصل وآخر يقوم على طرائق الفصل، وهذا التقسيم يخص تقنيات الحجاج اللغوية .

\* طرائق الوصل (الطرائق الاتصالية): يقصد بها الآليات التي تقرب بين العناصر المتباينة وتكمن من إقامة روابط علاقية بينها كي يمكن دمجها في بنية حجائية متماسكة وموحدة .

وقد حصر هذان الباحثان الطرائق الاتصالية في عدة حجج أهمها:

1/ **الحجج شبه المنطقية:** وهي حجج تعتمد في قوتها الإقناعية على بعض البنى المنطقية مثل: التناقض، التماثل التام أو الجزئي وقانون التعددية....، فالحجج شبه المنطقية قد توظف مفهومي التناقض وعدم الاتفاق لأن التعارض هو اجتماع حكيمين متناقضين في فرضية أو خطاب ما، كما يتمثل في اختبار فرضيتين لإقضاء غير اللائقة منهما للمقام، وبذلك يكون لكشف المحاجج عن التعارض بين قصتين في حجاج خصمه أو بين فرضيتين يريد إقصاء إحدهما لإقناع مخاطبيه بالأخرى أبلغ الأثر في كشف التناقض، حيث أن التناقض غالبا ما يكون جليا يسهل كشفه، أما كشف التعارض فمثير السخرية بحيث يكون الواقع في التعارض عرضة للضحك، لذا أعتبر بيرلمان أن السخرية أو الهزء من أهم الأسلحة الحجاجية وعوامل النجاح في الحجاج.

(1) - ينظر: المرجع السابق، ص 473.

كذلك نجد التماثل التام الذي يكون فيه المعرّف والمعرّف بمتماثلين لفظاً، وهذا ما يجعلنا نعتبر اللفظ الثاني محمولاً على المجاز وذلك حتى لا تكون العبارة الثانية حشواً " **le pléonasm** " أو تحصيل حاصل، وبذلك يضرب بيرلمان مثلاً لهذه الصيغ القائمة على التماثل بالمثل المعروف في قولنا " المرأة هي المرأة "، هذه الصيغ لا تكسب قيمتها الحجاجية إلا في مقامات بالغة الخصوصية.

في حين أن حجج التعدية: " **arguments de transitivité** ": تقوم على استنتاج علاقات انطلاقاً من توظيف قيمة عنصر ثالث يتم المرور عبره لتأكيد صدق العلاقة بين العنصرين الأول والثاني، ويضرب لذلك مثال "عدو عدوي صديقي" حيث إن الطابع شبه المنطقي لهذه الحكمة يدعم ما يمكن أن يستنتج منها وهو أن "صديق عدوي عدوي".<sup>(1)</sup>

وبهذا فالتعدية تدخل ضمنها أصناف كثيرة من الحجج ذات أنماط مختلفة كالتساوي والتضمين والتفوق وغيرها.

2/ **الحجج المؤسسة على بنية الواقع**: وهي حجج قائمة على استخدام الحجج شبه المنطقية للربط بين أحكام مسلم بها، وأحكام يسعى الخطباء إلى تأسيسها وتثبيتها وجعلها مقبولة ومسلماً بها، وهذا ما جعل الأحكام المسلم بها والأحكام غير المسلم بها عناصر تنتمي إلى كل واحد يجمع بينها، بحيث لا يمكن التسليم بإحداها دون أن يسلم بالأخر، ومن هنا جاء وصفها بكونها حججاً اتصالية أو قائمة على الاتصال.<sup>(2)</sup>

وعلى هذا يضرب بيرلمان مثلاً لهذا النوع من الحجج بوجود الاتصال التتابعي بوصفها تضم مظاهر اتصال السببي كالربط بين الأحداث المتتابعة بواسطة علاقات سببية أو استخلاص نتيجة ما بسبب حصول حدث أدى إليها .

من خلال هذه الحجج يهدف المتكلم إلى إثبات أحكامه، وجعل الأطروحة التي يعرضها أكثر إقناعاً.

(1) - محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، ص 129.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص 132.

3/ الحجج المؤسسة لبنية الواقع: «هذا النوع يقوم على مستويين أساسيين يكون أولهما: مؤسسا للواقع

بواسطة الحالات الخاصة كالمثل الذي يؤتى به لتأكيد الفكرة المطروحة»<sup>(1)</sup>.

وبالتالي يكون توظيف المثل لتعميم حكم ما أو إثبات فكرة معينة، إذ أن المثل يلحقه استشهاد بنصوص ذات القيمة السلطوية على المخاطب أي بواسطة النصوص التي يكون لها تأثير قوي على المتلقي، من هنا تكون مهمة المثل برهانية، في حين مهمة الاستشهاد توضيحية.

أما ثانيها: «فيقوم على استخدام التمثيل استخداما حجاجيا لأنه في الحقيقة ليس قائما على علاقة تشابه، وإنما هو تشابه علاقة»<sup>(2)</sup>.

وبهذا يعتبر التمثيل أسلوب من شأنه أن يستعمله المتكلم في حجاجه كدليل قوي لإثبات فكرته ووصولاً إلى النتيجة المطلوبة.

ومنه فإن هذه الحجج ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالواقع بالرغم من ارتباطها هذا، إلا أنها لا تتأسس على الواقع بل تؤسسه وتبنيه.

#### \* طرائق الفصل «الطرائق الانفصالية»:

إضافة إلى التقنيات الحجاجية السابقة المتمثلة في طرائق الوصل التي تعمل على ربط عناصر متباعدة واقعياً يعتمد بيرلمان تقنية حجاجية أخرى تقوم على الفصل، حيث يعتمد فيها إلى الكمال فيحدث فيه فصل بين حقيقته وظاهره، أي بين عناصر الموضوع الواحد .

<sup>(1)</sup> ينظر: المرجع السابق، ص 131.

<sup>(2)</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 132.



حيث أن هذا الفصل لا يقع إلا في العناصر التي تؤلف وحدة واحدة تتم تجزئتها لغايات حجاجية، ومن ذلك توظيف عناصر الربط والوصل والعطف النحوية في الخطاب الحجاجي، وكذلك استخدام جمل اعتراضية تحمل أفكار معينة مؤكدة أو ناقضة لما قبلها أو بعدها، وهذا غالباً ما يستعمل في الحدود والتعريفات.<sup>(1)</sup>

وبالتالي فحصيله هذه التقنيات الحجاجية كلها في نظر "بيرلمان" وزميله "وتيتكاه" أن يكون الخطاب في الحجاج على قدر المقام، بحيث تطابق بين موضوع الخطاب وأسلوبه، فلا يضطر بذلك المحاجج في فترة لاحقة من خطابه إلى التراجع أو تغيير المواقف إلى غير ذلك من المنغصات الحجاجية التي تفقد الحجاج مصداقيته.

وفي الأخير نستنتج من هذا كله أن هذه التقنيات أهم ركائز الدرس الحجاجي عند "بيرلمان"، حيث أنها أعادت الاعتبار لكلمة بلاغة وإسهامها الكبير في العودة إلى إثارة قضاياها الجوهرية.

#### \* الوسائل البلاغية:

إن حاجة الحجاج إلى البلاغة أمر لا بد منه فالآليات البلاغية - استعارة، تمثيل وبديع - تعد محورا مهما في بناء العملية الحجاجية، إذ تهتم البلاغة بالأساليب الكلامية التي تستطيع إيصال المعنى واضحا وفصيحا، إذ أن هذه الأساليب مرتبطة ارتباطا وثيقا بحجاجية الخطاب فيستند المتكلم إلى توظيفها من أجل دعم أقواله وإثبات قدرتها الإقناعية.

إن تعدد وجوه البلاغة من استعارة وكناية وتشبيه وبديع وغيرها، فكل هذه الأساليب تعد وسيلة من وسائل الإقناع والاستمالة، فهي تزيد الكلام جمالية إذ تحرك وجدان المتلقي وتثير انفعالاته، وهذا لا يكون من خلال الربط الدقيق بين أجزاء الكلام والوصل بين أقسامه، هذا ما أدى إلى ظهور الوظيفة الجمالية المرتبطة ارتباطا وثيقا

(1) - ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، صص 131-132.

بالحجاج «فالحجاج لا غنى له عن الجمال فالجمال يرفد العملية الإقناعية ويسر على المتكلم ما يرومه

من نفاذ إلى عوالم المتلقي الفكرية والشعورية»<sup>(1)</sup>.

إذن فالوظيفة الجمالية ترتبط بحجاجية الخطاب وذلك لما تحمله من قدرة كامنة داخل القول والتي بدورها تهدف إلى الإقناع والاستمالة، إذ أن الحجاج والبلاغة متلازمان، وهذا أمر لا مفر منه لأن الوسائل البلاغية كالاستعارة والتشبيه والكناية تعد محورا مهما في بناء العملية الحجاجية.

أ/الاستعارة: هي من أهم المواضيع التي حظيت باهتمام كبير من خلال البلاغيين والمفكرين النقاد والفلاسفة وغيرهم، وتعد إحدى الدعائم الأساسية التي يركز عليها الخطاب وبالأخص الخطاب الشعري الذي يعد أعلى أشكالها وذلك باعتبارها الركن الجوهري في بناء الأنساق الفكرية والتصويرية، فنجد "أرسطو" قد تطرق إلى الاستعارة وتحدث عنها من باب الشاهد الذي قسم إلى شاهد واقعي واصطناعي محتمل، وشاهد خرافي<sup>(2)</sup>.

كما أنه كذلك قسم الاستعارة إلى ثلاثة أقسام<sup>(3)</sup>:

1/ الاستعارة الجمهورية: فهذه الاستعارة هي الأكثر تداولاً بين الجمهور وهي لا تملك القدرة على التأثير والإقناع لأنها تعتبر فاقدة للقوة الحجاجية والتخيل.

2/ الاستعارة الشعرية: فهي تنقل الأقوال من مجال الخطابة إلى مجال الشعر.

3/ الاستعارة الحجاجية: هذه الاستعارة بدورها تهدف إلى الإقناع والتأثير في المتلقي، ولتأدية وظيفتها يجب أن تكون واضحة وبسيطة بعيدة عن الغرابة، وذلك حتى تكون في صورة أوضح وأقرب إلى ذهن المتلقي.

(1) - سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي، ص120.

(2) - ينظر: عمر أوكان: اللغة والخطاب، إفريقيا الشرق، المغرب، 2001، ص124.

(3) - المرجع نفسه، ص 131، 134.

ففي الدرس البلاغي العربي نجد الاستعارة قد أخذت جزءا وافرا من الدراسات حيث عرفها "السكاكي"

بقوله: «تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة من جهة الإبانة».<sup>(1)</sup>

كما وضع "الجرجاني" أيضا مفهوم للاستعارة انطلاقا من مفهوم الإدعاء الذي يقوم على ثلاثة مبادئ

أولها: «مبدأ ترجيح المطابقة ومقتضاه أن الاستعارة ليست في المشابهة بقدر ما هي في المطابقة، والثاني

مبدأ ترجيح المعنى ومقتضاه أن الاستعارة ليست في اللفظ بقدر ما هي في المعنى، والثالث مبدأ ترجيح

النظم ومقتضاه أن الاستعارة ليست في الكلمة بقدر ما هي في التركيب».<sup>(2)</sup>

ففي هذا التعريف المبدأ الأول فيه يعني وجود علاقة تشابه وتكامل بين المستعار والمستعار منه، أي أنهما

صارا في درجة واحدة، في حين الاستعارة في المبدأ الثاني تكمن في المعنى دون اللفظ، أما في المبدأ الثالث فتتجلى

في التركيب وليست في الكلمة.

كما نجد أيضا أن "الجرجاني" قد قسم الاستعارة إلى قسمين: مفيدة وغير مفيدة، فالاستعارة المفيدة تلعب دورا

أساسيا في البناء الشعري أي أنها تبني العمل الشعري وتقوم بتأسيسه، أما غير مفيدة فهي لا تعدو أن تكون

تلاعبا بالألفاظ.<sup>(3)</sup>

فمن خلال هذا التقسيم يبدو لنا أن الاستعارة المفيدة هي التي يهدف المتكلم من خلالها إلى تحقيق غايته

وهدفه الحجاجي الذي هو الإقناع والتأثير في المتلقي، في حين الاستعارة غير المفيدة فهي التي لا يرمي المتكلم من

خلالها إلى توظيف أي هدف كان، وهذا النوع من الاستعارة نجده عند بعض الأدباء والفنانين الذين يهدفون من

وراءه إلى إظهار تمكّنهم في اللغة.

(1) - محمد بن علي السكاكي: مفتاح العلوم، ضبط نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 384.

(2) - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 305.

(3) - ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 108.

فلاستعارة من أهم وأبرز الآليات البلاغية وذلك لما تحققه من إيصال وتقريب المعنى إلى المتلقي وهذا ما عبر

عنه "طه عبد الرحمن" بقوله: «المجاز الاستعارية هي أدل ضروب المجاز على ماهية الحجاج»<sup>(1)</sup>.

ويبرر "صلاح فضل" أهمية الاستعارة بقوله: «الاستعارة تعني أننا لدينا فكرتان لشيئين مختلفين يعملان

معاً، المشبه والمشبه به، أو الحامل والمحمول، وهما يرتكزان على فكرة أو عبارة ونتيجة التفاعل بين

الحدين أو الشيئين يأتي معاً»<sup>(2)</sup>.

مما سبق ذكره يتضح لنا أن الاستعارة تتطلب علاقة بين طرفين متشابهين يقومان على فكرة معينة أو عبارة

محددة.

ب/ التشبيه :

إن التشبيه بدوره لا يختلف عن الاستعارة من حيث إسهامه في الإقناع لكن «كفاءته في التأثير أدنى

منها في الاستعارة»<sup>(3)</sup>، فهو ربط بين شيئين يقومان على مجموعة من الخصائص المشتركة كالاشتراك في الحقيقة

والاختلاف في الصفة.

فهذا "عبدا لقاهر الجرجاني" في كتابه أسرار البلاغة نجده قد أثبت دور التشبيه في الإقناع فقال: «وأعلم

أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذ جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت

عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبهة، وكسبها منقبة ورفع من أقدارها وشب من نارها، وضاعف قوتها

في تحريك النفوس لها ودعا القلوب لها واستنار لها من أقاصيل أفئدة صباية وكلفا (...). وإن كان

حجاجا كان برهانا أنور وسلطانه أقهر وبيانه أبهر (...). ويبرئ العليل ويشفي الغليل»<sup>(4)</sup>.

(1) - طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص 233.

(2) - صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النفس، سلسلة عالم المعرفة، دط، دت ص 138.

(3) - المرجع نفسه: ص 146.

(4) - الجرجاني: أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر: مطبعة المدين، جدّة، ص 90.

من التعريف السابق الذكر يبدو لنا أن "عبد القاهر الجرجاني" يبرز بلاغة التشبيه، معتبرا إياه أداة ووسيلة تضيفي على الكلام أو القول جمالية، حيث يقدم المعنى المراد بأسلوب أكثر دلالة وتأثيرا في المتلقي.

كما يقسم "الجرجاني" أيضا التشبيه إذ يقول: «أعلم أن الشئيين إذا شبه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين أحدهما: أن يكون من جهة أمر بيّن لا يحتاج إلى تأويل، والآخر: أن يكون الشبه محصى بضرب من التأويل»<sup>(1)</sup>.

فالقسم الأول يكون فيه التشبيه واضحا سلسا مباشرا يقوم على المشبه والمشبه به والأداة ووجه الشبه، أي توفر جميع عناصر التشبيه، بحيث يكون المعنى جلي، أما الثاني فيكون ذا مغزى يتطلب من المتلقي تأويلا وتمحيصا لإدراك القصد، والملاحظ هنا أن النوع الثاني أكثر إيجاء ورمزية من النوع الأول وذلك لما تستوفيه من جمالية الكَلِم وبلاغة المعنى، في حين يكون المتلقي جزءا منه.

أما "السكاكي" فقد تطرق إلى التشبيه ودراسة وتدقيقا معنيا إياه أهمية كبيرة، وفي هذا الصدد قسم طرفي التشبيه إلى:<sup>(2)</sup> مستندين إلى الحس: كتشبيه يد الرضيع في الرطوبة واللين بالقطن.

- مستندين إلى العقل: كتشبيه الأم بالوطن.

- مستندين إلى الوهميات المحضة .

ومن هذا التقسيم يتسنى لنا القول أن لكل مقام مقالا، وأن التشبيه مواقع، فما يصح لإدراكه بالعقل لا يصح أن يكتشف بالحواس، بمعنى السير حسب عناصر التشبيه ومدركاته. وأيضا حسب المعنى المراد إيصاله طبعا بجمالية المعنى وقوة المبنى وبصورة محسوسة موحية.

وبالانتقال إلى دلالة أخرى للتشبيه، فسيكون الحديث عن الجانب أو الدور الحجاجي للتشبيه، ويرصد

ذلك أكثر عند "ابن أثير" إذ يقول: «أما فائدة التشبيه من الكلام فهي أنك إذا مثلت الشيء بشيء فإنما

<sup>(1)</sup> - المرجع السابق، ص90.

<sup>(2)</sup> - السكاكي: مفتاح العلوم، صص 332-333.

تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه أو التنفير عنه، ألا ترى أنك إذ شبهت صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا حسنا يدعو إلى الترغيب فيها، وكذلك إذ شبهتها بصورة شيء أقبح منها كان ذلك في النفس خيالا قبيحا يدعو إلى التنفير عنها»<sup>(1)</sup>.

ذلك أن للتشبيه تأثيرا كبيرا على النفوس، فإذا كان لصورة المشبه به صورة بهية حسنة كان ترغيبا وتحييا وإذا كانت تلك الصورة منفرة كان على النفس استهجانا ورفضاً لها، إذن فالتشبيه أداة حجاجية تكمن بلاغته أكثر في تجسيد صور يكون لها على المتلقي وقعا، ترسم في شكل إيقاع للتأثير يحمل في طياته برهانا وتأكيدا، في صورة الترغيب أو التنفير على حد سواء .

#### ج/ الكناية :

لعل من أهم وسائل الحجاج نجد الاستعارة والتشبيه بالإضافة إلى الكناية، وهي تؤدي دورا كبيرا في رسم الصور وترجمة المعاني في قالب جمالي يصل إيجاهه إلى المتلقي بشكل تطيب له النفس، ومن ثم القدرة على اختراق مكوناته واللعب على أوتارها، وبذلك يكون الاستيعاب والتأثر، وقد تطرق إلى هذه الوسيلة البلاغية العديد من علماء البلاغة، فنجد هذا "السكاكي" يعرفها بقوله: « ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك»<sup>(2)</sup>؛ بمعنى أن الكناية تكتسي جبة الغموض والرمز، حيث تقول معنى ويراد منه معنى آخر، وهذا باستخدام رموز أو كلمات لغير دلالتها ويرمز بها إلى مغزى آخر، أي إيصال المعنى بشكل إيجائي يتطلب من المستقبل أو المتلقي فك شفراته لاستجلاء المضمرة وفي الوقت ذاته إدراك المراد من تلك الأداة البلاغية.

<sup>(1)</sup> - ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي، منشورات الرفاعي، الرياض، د ط، د ت، ج 2، ص 130-131.

<sup>(2)</sup> - السكاكي: مفتاح العلوم، ص 402.



إضافة إلى التعريف الذي قدمه "السكاكي" نجد "الزركشي" في تعريفه للكناية بقوله: «هي عند أهل البيان أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له من اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ومرادفه في الوجود فيوميء به إليه ويجعله دليلاً عليه فيدل على المراد من طريق أولى»<sup>(1)</sup>.

فالملاحظ من هذا القول أنه لا يختلف عن قول "السكاكي" في تعريفه للكناية، ذلك أن الكناية شكل من أشكال الكلام الفصيح والبليغ الذي ينوب على المباشرة والبساطة التي توصل إلى الملل.

والكناية بدورها تنقسم: «باعتبار المكنى عنه ثلاثة أقسام: فالممكنى عنه يكون صفة، وقد يكون موصوفاً،

وقد يكون نسبة»<sup>(2)</sup>.

وبهذا فالتكلم يجب عليه أن ينتقي الصفة المناسبة التي يُكنى بها المكنى عنه وتقديمها كدليل قوي لاستمالة وإقناع المتلقي.

ومما سبق نستنتج أن الأدوات البلاغية التي سلف ذكرها – الاستعارة، التشبيه، الكناية – أدوات تساهم في بلورة المعنى وإيصاله إلى طرفي الخطاب سواء متكلم أو متلقي حسب موقعه بشكل بليغ وممتع تطيب له الأذن. إضافة إلى هذا كله ومما سبق ذكره هناك إستراتيجية للحجاج وهي الإقناع، وهنا نذكر الوسائل والتقنيات التي تعتمد عليها إستراتيجية الإقناع وهي:

\* الوسائل اللسانية: والمتمثلة في أدوات الاتساق والترابط والانسجام، وتستعمل أدوات الاتساق استعمالاً

حجاجياً، حيث أن يأخذ مفهوم الاتساق بعين الاعتبار العلاقات في الخطاب، ويشير إلى مجموعة من

الإمكانيات التي تربط بين شيئين ومن أهم هذه الأدوات نذكر: <sup>(3)</sup>

(1) - بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح: محمود أبو الفضل منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د ط، د ت، ج 2، ص 30.

(2) - عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية في نتاج ابن باديس الأدبي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2014، ص 289.

(3) - ينظر: محمد خطايي: لسانيات النص "مدخل إلى انسجام الخطاب"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 1991، صص 16، 24.

أ/ الإحالة: تعتبر الإحالة علاقة دلالية ومن ثم لا تخضع لقيود نحوية، إلا أنها تخضع لقيود دلالية وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال، وهي بدورها تنقسم إلى نوعين رئيسيين: "الإحالة المقامية" و"الإحالة النصية"، في حين الإحالة النصية تنقسم إلى إحالة قبلية وإحالة بعدية.

ب/ الاستبدال: هو عملية تتم داخل النص، أي انه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر ويعد شأن الإحالة كعلاقة اتساق، أي أنه يختلف عنها في كونه علاقة تتم في المستوى النحوي - المعجمي بين كلمات، في حين الإحالة علاقة معنوية تقع في المستوى الدلالي، فهو يعد مصدرا أساسيا من مصادر اتساق النصوص .

ج/ الحذف: هو علاقة داخل النص، وفي بعض الأحيان يوجد العنصر المفترض في النص السابق، وهذا يعني أن الحذف عادة قبلية وهو كعلاقة اتساق لا يختلف عن الاستبدال.

د/ الوصل: وهو تحديد الطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم، معنى هذا أن النص هو عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطيا.

و/ التكرار: وهو لون من ألوان الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف له أو عنصر مطلق أو اسم عام.

## 5- علاقة الحجاج بالمصطلحات الأخرى:

### أ. علاقة الحجاج بالبلاغة:

سبق لنا وان ذكرنا أن "أفلاطون" قد حصر بلاغة الخطاب في النقاش الذي يكون بين المتفلسفين، وما يخرج عن ذلك يعتبره سفسطة وهدفهما الأساسي هو الإقناع بالدرجة الأولى فهي غاية حجاجية، كما نجد الكثير منهم قد اجمعوا على أن الغاية من البلاغة هي الزخرفة والتزيين والتنميق في الكلام لأنها تقوم على الخداع لا على الصدق.<sup>(1)</sup>

(1) - رولان بارت: قراءة جديدة للبلاغة القديمة، دار أفريقيا الشرق، د.ط، د.ت، ص17.

فنجد "أبا هلال العسكري" قد خص مفهوما للبلاغة فيقول: «البلاغة كل ما يبلغ به المعنى قلب

السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن».<sup>(1)</sup>

كما أنه أورد أيضا مفهوما آخر فقال: «البلاغة التقرب من المعنى البعيد، والتباعد من حشو الكلام،

وقرب المآخذ، وإيجاز في الصواب، وقصد إلى الحجة، وحسن الاستعارة».<sup>(2)</sup>

من خلال هذه التعريفات نجد أن البلاغة تحمل مفهوما واحدا وهي الوضوح والكشف عن المعنى الخفي.

إلى جانب "أبي هلال العسكري" نجد أيضا "الجاحظ" في كتابه البيان والتبيين يقول: «جماع البلاغة

البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة، أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها، وإذا كان الإفصاح أوعر

طريقة، وربما كان الإفصاح عنها صفحا أبلغ في الدرك وأحق بالظفر».<sup>(3)</sup>

ويقول أيضا: «البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكوت، ومنها

ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون رسائل».<sup>(4)</sup>

إذن فالبلاغة لها مكانة كبيرة ومجالات أدبية مختلفة تساهم في الاستمالة والتأثير في المتلقي وإقناعه.

وقد أعطى "بيرلمان" كذلك عناية كبيرة لهذين المصطلحين، إذ جاء "بيرلمان" بما يسمى بمدرسة البلاغة

البرهانية التي قامت بتطوير البحوث البلاغية في الثورة اللسانية الحديثة «وحتى عهد قريب كان ينظر إليها على

أنها علم قديم مرتبط بالإفراط من جهة وبالكتب المدرسية من جهة أخرى».<sup>(5)</sup>

وبهذا أولى "بيرلمان" عناية خاصة لبلاغة الحجاج وطابق بين "الحجاج والبلاغة" منطلقا من فكرة أن كل خطاب

يسعى لتدعيم وضع ما أوتفنيذ آخر أو اتخاذ موقف تجاه قضية ما، هذا كله يتأسس على خطط حجاجية.

(1) - طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 228.

(2) - أبو الهلال العسكري: كتاب الصناعتين، ص 10.

(3) - المرجع نفسه، ص 47.

(4) - الجاحظ: البيان والتبيين، صص 115-116.

(5) - محمد سالم محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، عام الفكر العربي، 2008، ص 53.

كما عبر العنوان الفرعي " البلاغة الجديدة" لكتاب بيرلمان "مصنف في الحجاج" عن هذا التوجه العام الذي يروم جعل البلاغة علما مستقبليا هدفه تحليل الخطابات اعتمادا على خطط حجائية المتأسس عليها.<sup>(1)</sup>

أضف إلى هذا الحجاج ليس علما / فنا يوازي البلاغة بل هو مجموعة من الأساليب والأدوات يتم أخذها من البلاغة ومن غيرها كالمناطق واللغة العادية، وهذا ما يُيسر الحديث عن العلاقة الوطيدة بين الحجاج والبلاغة وذلك من خلال الأساليب، فمصلحة الخطاب الحجاجي هنا تقوية طرحه بواسطة الأساليب البلاغية والبيانية ولإنجاز مقاصد حجائية، وإفادة أبعاد تداولية وأغراض تواصلية وتقوية وظيفة اقناعية استدلالية .

ب. علاقة الحجاج بالاستدلال:

إن الاستدلال يرتبط ارتباطا وثيقا بالحجاج فهو يمثل: « سياقه العقلي أي تطوره المنطقي، وذلك أن النص الحجاجي نص قائم على البرهنة، فيكون بناؤه على نظام معين تترايط فيه العناصر وفق نسق تفاعلي وتهدف جميعها إلى غاية مشتركة، ومفتاح هذا النظام لساني بالأساس فإذا أعدنا النص الحجاجي إلى أبسط صورته وجدناه ترتيبا عقليا للعناصر اللغوية ترتيبا يستجيب لبنية الإقناع».<sup>(2)</sup>

وبهذا يكون للاستدلال علاقة وطيدة بالبرهنة والإقناع معا .

ج. علاقة الحجاج بالبرهنة:

يرتبط الحجاج بالبرهنة إذ يستند فيها على « الأمثلة والحجج وكل تقنيات الإقناع مرورا بأبلغ إحصاء وأوضح استدلال وصولا إلى أطف فكرة وأنفذهها».<sup>(3)</sup>

كما أن الحجاج يتميز عن البرهنة بخمسة ملامح رئيسية وذلك حسب "بيرلمان" وهي كالآتي:

1- أن يتوجه إلى مستمع.

2- أن يعبر عنه بلغة طبيعية.

<sup>(1)</sup> - ينظر: صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 2008، ص50.

<sup>(2)</sup> - سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، ص27.

<sup>(3)</sup> - المرجع نفسه، ص27.

3- أن تكون مسلماته لا تعدو كونها احتمالية.

4- أن يفتقر تقدمه إلى ضرورة ومنطقية بمعنى الكلمة.

5- أن تكون نتائجه غير ملزمة "احتمالية غير حتمية".

من خلال هذه الملامح والوظائف يتبين لنا أن الأطر الحجاجية تكمن في العلاقة الثنائية القائمة بين الحجاج والخطابة.

كما أن للخطاب البرهاني الدور الأكبر في تطعيم الحجاج بالأساليب الأدبية البلاغية هذا من جهة فنية ومن جهة ثانية أقرب إلى التربية منه إلى الدعاية ففي حين يكون جديداً على أذهان الجمهور، والنوع البرهاني غايته مجرد إنشاء الاستعداد للعمل، شأنه في ذلك شأن الخطاب التربوي.<sup>(1)</sup>

وبالتالي فالعلاقة بين الحجاج والبرهنة تكمن في طبيعة الأمثلة والحجج المقدمة كما ذكرنا، إذ يرتبط بالإقناع ولطبيعة العملية الحجاجية دور في تحديد نوع ذلك النص أو الخطاب بالرجوع لطبيعة العملية البرهانية

#### د. علاقة الحجاج بالتداولية:

يعتبر الحجاج من أهم أركان التداولية وأخذ الحجاج في الاعتبار في الدراسات التداولية هي خصيصة للسنوات الثمانين من القرن العشرين تشهد على ذلك البيبوجغرافيا وتوضحه المفاهيم، أضف إلى هذا التفاعل بين البحث التداولي والبحث البلاغي فيما يتعلق بالحجاج أدى إلى اقتراح عرض الاتجاهات الأساسية لدراسة الحجاج في البحوث التداولية.<sup>(2)</sup>

(1) - ينظر: محمد سالم محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، ص110.

(2) - ينظر: صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، ط01، 2008، ص16.

إن اتساع مجالات التداولية وتعدد بيئتها نشأتها، جعل موضوعاتها أمراً يكاد يستعصى فهي أحياناً في تماس مع معارف أخرى وفي اندماج أحياناً أخرى وفي علاقتها بالحجاج، نجد أن الحجاج من أهم الموضوعات والقضايا الموجودة في التداولية وأساسها فيها.<sup>(1)</sup>

فالحجاج مجال غني من مجالات التداولية وبدوره يشترك مع العديد من العلوم الأخرى، ويعتبر ضمن الحقل التداولي لكنه انبثق من حقل المنطق والبلاغة الفلسفية، ويرتبط مفهومه بالفعل.<sup>(2)</sup> وكما يبدو فالحجاج في مفهومه يقوم على صناعة الجدل والخطابة، والتداولية في عمومها تهتم بجميع شروط الخطاب، وتعتمد أسلوباً ما في فهمه وإدراكه بدراسة كيفية استخدام اللغة.

وبهذا فجل اهتمامها ينصب أساساً على المتكلم وتحليل الأفعال الكلامية ووظائف المنطوقات اللغوية وسمياتها في عملية الاتصال، فمصطلح التداولية يشمل<sup>(3)</sup>: مجموعة من البحوث المنطقية واللسانية التي قدمت في دراسة استعمال اللغة والعلاقة بين المتخاطبين.

- دراسة اللغة بعدها ظاهرة تواصلية اجتماعية خطابية حجاجية.

- ودراسة استعمال اللغة في الخطاب.

و من هذا كله نجد أن التداولية تقوم على دراسة واستعمال اللغة، ودراسة العلاقة بين المتكلم والسامع فموضوعها إذا هو التواصل البشري.

كما أن للحجاج علاقات الأخرى لا يتسع لها هذا البحث ومنها علاقته بالجدل...

<sup>(1)</sup> - ينظر: خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص86.

<sup>(2)</sup> - المرجع نفسه، ص105.

<sup>(3)</sup> - المرجع نفسه، صص67-68.



ثانيا: المناظرة.

## 1/ مفهوم المناظرة

### أ. الدلالة اللغوية:

وردت لفظة المناظرة في المعاجم العربية والغربية، فنجدها تحمل معنى المباحثة والمباراة في النظر واستحضار ما يراه كل طرف ببصيرته في شأن ما، إذ أن المعنى اللغوي لكلمة المناظرة جاء في لسان العرب "لابن منظور": «المناظرة أن تناظر أخاك في أمر إذ نظرتما فيه معا كيف تأتيانه، ويضيف ابن منظور التناظر: التفاوض في الأمر ونظيرك: الذي يناظرك وتناظره: .... وناظره من المناظرة .... ناظرت فلانا أي صرت نظيرا له في المخاطبة»<sup>(1)</sup>.

وتدل كلمة " المناظرة " على المفاعلة لأنها تستدعي طرفين متناظرين وجاء في معجم الوسيط ناظر فلانا: « صار نظيرا له، وناظر فلانا: باحثه وباراه في المجادلة، وناظر الشيء بالشيء: «جعله نظيرا له، فالمناظرة مأخوذة من النظر أو من النظر بالبصيرة»<sup>(2)</sup>.

وما يزيد الكلمة وضوحا وتميزها في المعاجم اللغوية: ما جاء به "الزيدي" في معجمه " تاج العروس " إذ أنه يكرر ما جاء به سابقوه فيقول: « والمناظرة هي المباحثة والمباراة في النظر واستحضار كل ما يراه ببصيرته، والنظر والبحث»<sup>(3)</sup>.

أضف إلى ذلك ما جاء في معجم المصطلحات الأدبية مناظرة **debate**: «مناقشة أو حوار بين شخصين - أو فريقين - يجعل كل منهما موقفا مناقضا للشخص - أو الفريق الآخر من مسألة ما، ويحاول

(1) - ابن منظور: لسان العرب، (مادة نظر)، مجلد 05، ص254-257.

(2) - إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط (مادة أنظر)، ص932.

(3) - محمد مرتضى الزيدي: تاج العروس من جواهر القاموس: تح: عبد الحليم الطحاوي، المجلد14، مطبعة الكويت، 1974، ص254.

كل طرف دعم آرائه وتقويتها بالأدلة والبراهين وفي الوقت ذاته يحاول دحض الرأي المناقض وتخطئته»<sup>(1)</sup>.

من خلال ما سبق ذكره يتجلى لنا أن المناظرة هي حدث لغوي تفاعلي منظم، يتيح المجال للنقاش حول مشكلة ما وتشخيص كفاءات تمثلها، وطرائق فهمها ومعالجتها، فهي مناسبة لعرض وجهات نظر متباينة حول مسألة ما.

فالمناظرة إذن هي المقابلة والمجادلة، إذ تقوم في جوهرها على المواجهة بين نظيرين؛ كل منهما ينظر إلى الآخر أو كل منهما يناظر بمعنى يجادل ويحاجج، والحجاج والمحااجة هما المؤديان إلى إقناع الآخر وحمله على الاقتناع برأي ما.

#### ب. الدلالة الاصطلاحية:

المناظرة فن من فنون الأدب، حيث أطلق العرب هذا المصطلح "المناظرة" على أحد أشكال الجدل الفكري القديم، إذ لا يكاد يخلو كتاب من كتب الأدب القديم إلا وذكرت فيه مناظرة أو أكثر وخاصة تلك الكتب التي كتبت في القرنين الثالث والرابع الهجريين.

ولقد عرف العلماء المناظرة من الناحية الاصطلاحية بأنها: «النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشئيين إظهاراً للصواب»<sup>(2)</sup>.

فمن خلال هذا التعريف نستنتج بأن أساس المناظرة طرفان يتحاوران حول موضوع بينهما لكل منهما فيه وجهة نظر خاصة يحاول أن يثبت صحتها ويدحض وجهة نظر الطرف الذي يقابله، وهذا ما ذهب إليه "حسن حبنكة الميداني" في كتابه "ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال" فيقول: «المناظرة هي المحاوراة بين

(1) - نواف نصار: معجم المصطلحات الأدبية، عربي إنجليزي دار المعز للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2010، ص326.

(2) - الشريف الجرجاني علي بن محمد بن علي: التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، ص76.

فريقين حول موضوع لكل منهما وجهة نظر فيه تخالف وجهة نظر الفريق الآخر، فهو إثبات وجهة نظره وإبطال وجهة نظر خصمه، مع رغبته الصادقة بظهور الحق والاعتراف به لدى ظهوره»<sup>(1)</sup>.

ومنه فهذا قد حاول تغطية جانب من المعنى إلا أنه أغلق شيئاً مهماً فيه وهو الخطاب الناتج عن الفريقين الذي يريد فيه كل منهما إلى النهوض برأيه وإسقاط رأي غيره وهذا لا يتم إلا بالبراعة في تقديم الحجج والبراهين.

كما عرفها "طه عبد الرحمن" بقوله: « المناظرة هي النظر من جانبيين في مسألة من المسائل قصد إظهار الصواب فيها، فالمناظر هو من كان "عارضاً" أو "معتزلاً" وكان لعرضه أو اعتراضه أثر هادف ومشروع في اعتقادات من يحاوره سعياً وراء الإقناع والافتناع برأي سواء ظهر صوابه على يد أو على يد محاوره»<sup>(2)</sup>.

إضافة إلى هذه التعريفات هناك تعريفات أخرى أشارت إلى المناظرة باعتبارها: « بنية نصية واحدة من حيث الشكل، لكنها تحتوي خطابين متباينين يتبادلان الأدوار الكلامية، ينتمي كل منهما إلى إحدى الطرفين المتناظرين، وينمو النص ويتوالد بفعل تبادل الأدوار الكلامية بين الطرفين، حسب قانون الفعل ورد الفعل، وتعتمد المناظرة والمحاورة والاستدلال والتمثيل والاستشهاد وكل وسائل الإقناع ولرد حجة الخصم»<sup>(3)</sup>.

فهذا التعريف يركز على النص ونموه بتفاعل أجزائه المكونة له، وذلك بتفاعل الأدوار الكلامية بين الطرفين هما المنتجان الحقيقيان له يحكمهما قانون الفعل ورد الفعل وذلك من خلال الحاجة التي تبني على الحجج والأدلة والبراهين.

(1) - عبد الرحمن حسن حينكة الميداني: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، بيروت، لبنان، 4، 1993، ص371.

(2) - طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، صص46-47.

(3) - العشي عبد الله: زحام الخطابات، دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر، د ط، 2005، ص36.

في حين يرى الدكتور " حسين الصديق " : « أن مصطلح المناظرة يستخدم للدلالة على نص صغير أو كبير يعرف حواراً بين شخصين وأحياناً أكثر من الاثنين يخالف الآخر في الموضوع المطروح للمناقشة؛ ويتبنى فرضية تخالف فرضية الخصم ويحاول دعمها بالحجج والبراهين وإدحاض فرضية الآخر وأدلته».<sup>(1)</sup>

كما عرفها "عبد الطيف عادل" في كتابه بلاغة الإقناع في المناظرة: « بأنها ممارسة حوارية قائمة على التفاعل بين متخاطبين يشتركان بصنع المعرفة عبر مسار حجاجي».<sup>(2)</sup>

مما سبق ذكره يمكن القول بأن المناظرة عبارة عن محاوره فكرية بين شخصين أو أكثر حول موضوع ما، إذ يسعى كل طرف إلى إثبات وجهة نظر عن طريق تقديم الحجج والبراهين وإبطال أطروحة الآخر قصد إظهار الصواب في مسألة من المسائل.

## 2/ نشأة المناظرة :

المناظرة فن أدبي قدم جدا في الحضارة الإنسانية، فحيث تتوفر الحياة الاجتماعية توجد بالضرورة المناظرة، وكلما ازداد غنى الحياة الاجتماعية وتعدد العلاقات فيها ازداد تطور المناظرة في شكلها ومضمونها فهي أساسا مثل أي نوع أدبي آخر تقوم على الفعالية اللغوية التي ترتبط ارتباطا مباشرا بالفكر الإنساني ضمن علاقة جدلية، فيؤثر كل الطرفين في الآخر فيتفاعل معه، وبالتالي تعود نشأة المناظرات إلى العصر الجاهلي، فالعرب في الجاهلية عرفوا نوعا من المناظرات يتلاءم مع طبيعة ظروفهم الاجتماعية، وقد طرحت موضوعات في هذه المناظرات وانطوت ضمن إطارين أدبي ولغوي وديني.<sup>(3)</sup>

**فالأول** يتعلق بالشعر والشعراء إذ يدور الحوار فيها بين العرب أنفسهم، وكتب الأدب والنقد القديمة، تطرقت هذه المناظرات التي تقوم بين شاعر وآخر في تفضيل بيت على بيت، وبين ناقلين في تفضيل شاعر على شاعر.

(1) - ينظر: حسين الصديق، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، دار نوبار، القاهرة، مصر، ط1، 2000، ص63.

(2) - عبد اللطيف عادل: الإقناع في المناظرة، درا الأمان، الرباط، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص131.

(3) - ينظر: حسين الصديق، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، صص100-101.

أما الثاني فكان يتعلق بالمعتقدات الدينية حول وجود الله والحياة بعد الموت، وكانت هذه المناظرات تدور سواء بين العرب بعضهم مع بعض أو بين العرب وغيرهم من أبناء الديانات والمذاهب الأخرى.

كان لابد لنا من هذا التمهيد لكي نستطيع إعطاء لمحة عن وجود المناظرات عند العرب، هو وجود يمتد بجذوره إلى ما قبل الإسلام غير أن مجيء الإسلام هيباً لها التربة الخصبة التي ساعدت على تطورها حيث تشكلت المناظرة بوصفها خطاباً حجاجياً تستهدف الدفاع عن الدين ومواجهة الخصوم، وخاصة إثر وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، ويمكن أن نقسم مراحل تطورها إلى ثلاثة مراحل:<sup>(1)</sup>

### المرحلة الأولى :

هذه المرحلة تغطي الفترة من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ظهور الدولة الأموية، فبعد وفاة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام وما استتبع ذلك من صراع حول الخلافة وانشعاب السبل بين المسلمين حتى انتظموا في فرق متنازعة، وقد لعبت المناظرة دوراً بارزاً في التدافع بين هذه الفرق، وبهذا فالمناظرة في هذه الفترة اتخذت طابعاً دينياً وسياسياً كمناظرة "أبو بكر الصديق" و"عمر بن الخطاب" الأنصار في سقيفة بني ساعدة، إذ احتدم الخلاف حول من يتولى أمر المسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، التي انتهت بمبايعة أبي بكر خليفة للرسول كما أن علياً بن أبي طالب ناظر الخوارج بعد معركة صفين حول مسألة التحكيم، وحول الموضوع ذاته ناظرهم عبد الله بن عباس بأمر من علي.<sup>(2)</sup>

### المرحلة الثانية :

إن هذه المرحلة تمتد من قيام الدولة الأموية إلى غاية سقوطها، هذا ما شكل نقطة تحول في تأسيس الحضارة العربية الإسلامية إذ تعتبر عاملاً أساسياً في نمو وتشعب فرق كانت موجودة وولادة فكرة أخرى جديدة، من هنا تولد الصراع بين الجيوش الأموية وبين الخوارج والشيعة وغيرهم من المتمردين، هذه الفترة عرفت ازدهار المناظرات

<sup>(1)</sup> - ينظر: حسين الصديق، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، ص101.

<sup>(2)</sup> - ينظر: عبد اللطيف عادل، الإقناع في المناظرة، ص138.

وتعدد أشكالها، حيث برزت المناظرات السياسية بين الفرق في هذه الفترة، كما ظهرت مع أواخر هذا العصر المناظرات بين الفرق الدينية<sup>(1)</sup>، وفي هذا الصدد يقول "شوقي ضيف": «ومن يقرأ في أخبار هذا العصر يعرف أن المناظرات كانت مشتعلة بين الفرق، اشتعلت أولا بين الفرق السياسية، بين فرق الخوارج نفسها ثم بينهم وبين الشيعة... ثم اشتعلت بين الفرق الدينية التي كانت في العقيدة والإيمان وصفات الله، فكان هناك القدرية الذين قالوا بحرية الإدارة وعلى رأسهم الحسن البصري رحمه الله، وكان هناك الجبرية الذين يقولون بتعطيل إرادة الإنسان أنه مجبر لا حول له على ما يأتي من الأمر ولا قوة، وكان هناك المرجئة الذين يفصلون بين الإيمان والعمل ولا يحكمون على المسلمين بل يفوضون الحكم إلى ربهم، واحتدم الجدل بين هذه الفرق كما كان الخوارج والشيعة والأمويون يتحاورون كل يدافع عن رأيه يحاول أن يقنع خصمه وخصومه»<sup>(2)</sup>.

من هذا القول نستنتج أن هذه الظروف ساعدت على إثارة قضايا جديدة، هذه القضايا تشكل موضوع مناظرات كثيرة دارت في ذلك الوقت.

إن مسألة الجبر والاختيار من أولى المناقشات وأهمها وتأتي بعدها في الأهمية مسألة صفات الله، غير أن هذه الأخيرة نتجت عنها مسألة أخرى أثارت جدالا كبيرا وهي مسألة خلق القرآن، وهذا ما ساعد على ظهور مذهب المعتزلة، وإلى جانب هذه الموضوعات الفلسفية، كانت هناك موضوعات أخرى تثير جدلا، هذه الموضوعات يجمعها لنا "ابن النديم" في نص يتحدث فيه عن "القاسم بن معن"، فيكتب: «وكان يناظر في الحديث أهله وفي الرأي أهله، وفي الشعر أهله، وفي الأخبار أهلها، وفي الكلام أهله وفي النسب أهله»<sup>(3)</sup>.

(1) - ينظر: حسين الصديق، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، صص 107 - 108.

(2) - شوقي ضيف: الفن ومذاهبه الفني في النثر العربي، نقلا عن فن المناظرة، ص 37.

(3) - المرجع نفسه: ص 111.

فمن خلال هذا النص نجد أن عددا كبيرا من الموضوعات الدينية والأدبية والعلمية حظيت باهتمام العلماء من أهل العصر والنحو من بين هذه الموضوعات التي كانت قضاياها تثير الجدل بين أصحابه. ومن كل هذا نستنتج وجود نشاط جدلي قام به العلماء، هذا النشاط يمثل عاملا من العوامل الأساسية التي ساعدت على تطوير تلك العلوم ضمن علاقة جدلية تقوم خلالها المناظرات بتطوير العلوم وتوسيعها وتعميقها مما أفسح المجال للمزيد من المناظرات وتطوير منهجها.

### المرحلة الثالثة:

في هذه المرحلة أصبحت المناظرة لغة العصر، فازدهر فن المناظرة في العصر العباسي وأصبح من أهم الفنون الثرية التي كانت محل إعجاب ونالت تقدير الكثيرين على اختلاف طبقاتهم، إذ احتدمت المجادلات الكلامية الواقعة بين الفلاسفة والمفكرين والعلماء على اختلاف توجهاتهم في مختلف القضايا العلمية، وقد تمت هذه المناظرات في إطار حلقات علمية مختلفة واتحدت صبغة المناقشات والحوارات المستفيضة، فكانت هناك حلقات للفقهاء والفلاسفة والمفسرين والشعراء وأهل اللغة غيرهم؛ فكان المعتزلة من أهم طوائف المتناظرين في هذا العصر، وكانوا حقا نخبة مثقفة متمرسة في استخدام الجدل والمناظرة، وامتازوا بمجادلة أصحاب الفرق الأخرى، مما ساعد على ظهور مناظرين كبار في شؤون الدين والعقل فصار هذا مسرحا للمناظرات في المسائل الكلامية والفلسفية، وقد شاهد ألوانا رائعة من المناظرات، وفي طليعتها مناظرات موضع الجدل والأخذ والرد بين علماء الشيعة وعلماء السنة ومسألة الإمامة.<sup>(1)</sup>

ولقد كانت المناظرة خلال هذا الصراع السلاح الأول الذي يعتمد عليه كل الأطراف لعرض أفكارهم والدفاع عنها، ولعلم الكلام أثر كبير في تطوير المناظرة شكلا ومضمونا، وقد كان الأدب الذي أعطى لعلم الكلام الريادة والتطور وهذا كان سببا رئيسيا في إعطاء المناظرة الأهمية والحيوية التي بلغت أثناء القرن الثالث الهجري، مما يفسر

(1) - ينظر: عبد اللطيف سلامي، المدخل إلى فن المناظرة، بلومزيري، مؤسسة قطر للنشر، الدوحة، ط01، 2014، ص46.

لنا أغلب المناظرات التي وصلت إلينا تتخذ موضوعات علم الكلام مجالاً لها، وبهذا كانت موضوعات المناظرة تقوم على أساس فكري نظري مجرد وصل في بعض الأحيان عند بعض المناظرين إلى حدّ الجدل الذي كان يدلّ على الإمتلاك الكامل للقدرة الجدلية العقلية في ذلك العصر، أضف إلى هذا كثرة المناظرات التي اهتمت بموضوعات علم الكلام في تلك المرحلة، لا ينفي أنّ هناك مواضيع أخرى فقدت روح العصر العلمية تجوب كافة المجالات، فهذه قوائم الكتب التي يعرضها لنا "ابن النديم" لنذكر مدى تنوع الموضوعات آنذاك وفي قائمة كتب "الردود" التي يذكرها "ابن النديم" نجد عدداً كبيراً من الكتب التي ألفها أصحابها ليردّوا بأسلوب الجدل على خصومهم في موضوعات تنتمي إلى مجالات متنوّعة نذكر منها: الشعر واللغة، النحو، العروض، الفقه...، وهي كلّها مجالات شهدت ازدهاراً في تلك الفترة، إذ كان القرن الثالث بشكل عصر البحث والجدل والمناظرة، فإنّ القرن الرابع بمثل عصر الجمود الديني حيث اتخذت المذاهب الفقهية الأربعة والفرق الدينية الأخرى أشكالها النهائية وتجمّدت فكراً، أمّا علمياً فقد كانت "بغداد" هي العاصمة بمعنى الكلمة حيث تتركز جميع الحركات الفكرية والروحية. فضعفت السلطة السياسية المتمثلة في الخليفة وتعرّضت إلى شتى أنواع الإحتقار والإستغلال وأصبحت السلطة الحقيقية في أيادي السلاطين والأحرار والوزراء، ممّا اختتم على السلطة السياسية عموماً البحث عن تأكيد شرعيّتها. فتحول الصراع الفكري الجدلي في القرن الثاني والثالث إلى صراع مسلّح عنيف فتقلّصت اللقاءات بين الطرفين، هذا كلّه أدّى إلى تراجع المناظرات التي تتناول موضوعات علم الكلام وابتعدت عن "بغداد" إلى المنطق التي كان يُسيطر عليها المعتزلة، ومن الطبيعي أن تتراجع هذه الموضوعات لتترك المكان لموضوعات أخرى أقدر منها على الردّ على الحاجات المتجدّدة لذلك المجتمع، فظهرت جماعات إخوان الصفا وعرفت الفلسفة صعوداً في هذا العصر، فظهور إخوان الصفا يشكّل عاملاً رئيساً في تطوير المناظرة في هذا القرن، إذ طرحوا موضوعات جديدة تردّ على إحتياجات الأدباء، وحاولوا التوفيق بين الفلسفة والشريعة كما ساهم النشاط الواسع الذي شهدته الفلسفة في إنتشار المناظرة في القضايا التي طرحها إخوان الصفا، فهذا "التوحيدي" يجعلنا نعيش في كتابه "الإمتاع



والمؤانسة" بعض المناظرات الفلسفية في جوهرها، كما يخصّص بعض "المقابسات" لعرض المحاورات التي كانت تدور في مجلس "أبي سليمان المنطقي"، ولعلّ ما ساهم في ازدهار الفكر الفلسفي آنذاك هو الحالة الاجتماعية السيئة والقلق الذي كان يعيشه أهل العصر، بما فيه المفكرين الذين وجدوا في الفلسفة ملجأ لهم<sup>(1)</sup>.

ومن هذا نستنتج أنّ هذه أبرز المؤثرات في تطوّر المناظرة في القرن الرابع وهي مع ما سبقتها تكون لنا إطاراً عاماً نرى من خلاله المسار العام للمناظرة، الذي ارتبط جوهرها بالقيم العامة للمجتمع الإسلامي وبتطوّراته. وفي الحديث عن الأدب الأندلسي نجد أنّ فن المناظرة عرف زقياً وازدهاراً في هذا العصر، فللخلفية الثقافية وأثر المجالس الأدبية الأندلسية الدور الكبير في هذا التطوّر، حيث تعلّق عديد من أمراء الأندلس وحكّامها بالمعرفة ومشاركتهم في ميادين الثقافة، ومن العوامل التي أدّت إلى ازدهار المناظرات في الأندلس نذكر ما يلي:

✓ الإنفتاح على ثقافات أخرى والتسامح الديني والتعايش مع معتنقي الأديان التوحيدية الثلاث، فقد كان المجتمع الأندلسي مزيجاً متبايناً من عناصر شتى تختلف في العرق والدين.

✓ طبيعة الأندلس الساحرة وأراضيها الخصبة التي فتت بها الشعراء، وكانت مصدر إلهامهم وقد وظّف الأديباء المناظرة في التعبير عن شغفهم بالطبيعة.

✓ إلتقاء جميع الديانات السماوية الثلاث ساهم في إثراء التراث الجدلي الذي جمع بين أتباع هذه الديانات، فأضحت المناظرة منهجاً للدعوة إلى دين الله والدّفاع عن العقيدة الإسلامية.

✓ التّزعة الوطنية عند أهل الأندلس حيث كانت المناظرات ميداناً خصباً لوصف جوانب حضارتها والتّمسك بأصالتهم.

✓ تأثّر الأندلسيين بالمؤلّفات العلمية والأدبية التي تحمّلت إليهم من المشرق العربي وشيوع الحرّية الفكرية والإنفتاح على ثقافات الآخرين وعلومهم عن طريق الترجمة.<sup>(2)</sup>

أضف إلى هذا تعدّد موضوعات المناظرة في الأدب الأندلسي، وكانت تعبّر عن البيئة التي نشأ فيها هذا الفنّ الأدبي، فكانت المرآة التي تعكس الجوانب السياسية والثقافية والدينية التي إنتشرت في بلاد الأندلس آنذاك، ومن الموضوعات التي تناولها الأديباء الأندلسيون في المناظرات: منظرَات بين الحكّام وأفراد الرعيّة، ومناظرات

(1) - ينظر: حسن الصّدّيق، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، ص. 116، 131.

(2) - ينظر: عبد اللطيف سلامي، المدخل إلى فنّ المناظرة، ص. 46.

الفقهاء والفلاسفة، والمناظرات التي جمعت بين العواطف الإنسانية كما عند ابن حزم، والمناظرات التي تردّ على دعاة الفرقة ومثيري الفتن. <sup>(1)</sup>

ومن هذا كلّ نستنتج أن أدباء الأندلس ساروا على درب أسلافهم العباسيين، فأبدعوا في المناظرات الخيالية كالمناظرات بين الأزهار والورود والمدن.

### 3/ أنواع المناظرات:

تضاربت آراء الدارسين والباحثين حول أنواع المناظرة، إلا أن الرأي الغالب هو أن المناظرة نوعان:

أ/ المناظرات الواقعية: وهي المناظرات التي دارت على أرض الواقع «وأبطالها من البشر على اختلاف مناهلهم ومشاربهم» <sup>(2)</sup>؛ فهي بدورها تصوّر لنا الواقع وتنقل أحداثه مستمدة من التجارب الحية التي دارت حولها موضوع المناظرة.

ب/ المناظرات الخيالية: وهي المناظرات التي أقيمت على أسنة الحيوانات، أو اختصت بالأشياء والجماد وتتسم غالباً بطابع المفاخرة «وهو في الإنشاء العربي الواسع، وقد تفتن الكتابة فيه فنطقوا بلسان الأزهار والعلوم وأدوات الملك وغير ذلك، كل هذه المفاخرات من قبيل الرسائل الأدبية وهي تجري على وتيرة واحدة من حيث المحاورة في وصف المفاخرة الذاتية، والتزم السجع والبديع» <sup>(3)</sup>؛ ومن تلك المناظرات التي تعتمد الخيال الذي هو بدوره يحرك الجماد أو يصوّر الكائنات الحية فيجعلها تنطق وتتجاوز، فمن أمثلة هذا النوع من المناظرات: مناظرة السيف والقلم "لابن وردى"، مناظرة صاحب "أبي تمام" وصاحب "البحثري" "للأمدي"، ومناظرة السيف والقلم "لابن نباتة المصري"، وكذلك المناظرة التي جرت بين "القنديل" والشّمعدان"، ومناظرة السيف والقلم "لابن برد".

إذن فالمناظرة قسمان: حقيقية كانت فعلاً على أرض الواقع أبطالها من بني البشر، جرت بين أناس، وأخرى من وحي الخيال لا علاقة لها مع الواقع، إذ أنّها ولدت من رحم إبداع الشاعر وفي غالب الأحيان تكون عبارة عن مساجلة على لسان الحيوان أو أجهزة، فيذهب كلّ طرف إستحضار خصاله ومحاوله الإطاحة بالآخر لكن بطريقة

<sup>(1)</sup> - ينظر: المرجع السابق، 47-48.

<sup>(2)</sup> - عصام الدين (طاش كبرى زاده): رسالة الآداب في علم الآداب والمناظرة، تح: حايّف التّبهان، دار القاهرة للنشر، الكويت، ط1، 2012، ص14.

<sup>(3)</sup> - آمنة بن منصور: المناظرة في الأندلس (دراسة في الأشكال والمضامين)، أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان، كلية الآداب واللغات، 2012، صص9-10.

مهذّبة، والثاني: يفعل الشيء نفسه في جوّ موسيقي يهيج نتيجة التوظيف الكبير للمحسنات البديعية، ومنه نستنتج أنّ المناظرة لها سمات فنيّة وإبداعية جعلتها تنمو لتصبح حقلاً أدبياً مستقلاً.

#### 4/ فوائد المناظرة:

إنّ الأخذ بآداب المناظرة يُسهم في تحقيق فوائد تساعد على كسب القلوب والمواقف بعيداً عن قلة الفهم، فللمناظرة الجيدة لا بدّ أن تكون لها فوائد:

✓ إستقطاب جوانب الخلاف حول قضايا معيّنة، وإيضاح ما بين المتناظرين من قضايا خلافية في جوّ من الودّ، في إطار «إنّ اختلاف الرّأي لا يُفسد للودّ قضيّة»<sup>(1)</sup>.

✓ الإبتعاد عن الأحكام التجريدية في قضايا الواقع، ونهج و إتباع السبيل المنطقية السليمة.

✓ تجنّب الرّدود الإنفعالية أو الأحكام المسبقة، والأحكام النمطية والشخصنة.

✓ تحلّي كلّ من الفريقين المتناظرين عن التعصّب الأعمى لوجهة نظره.

✓ التقيّد بالقول المهذّب بعيداً عن الطعن والتّجريح والسّخرية من وجهة نظر الخصم.

✓ التدرّب على أصول الحوار والتأدّب بآدابه.

✓ التّمكّن من استخدام اللّغة بكفاءة وفعالية في مجالات مختلفة

✓ التزام الطّرق الصّحيحة والسّليمة في الإقناع كتقديم الأدلّة المقنعة وعدم تعارض أو تناقض الأدلّة المقدّمة بعضها مع بعض.

✓ كسر حاجز الخوف والخجل لدى الطّلبة في مواقف قد تصادفهم في شتىّ مناحي الحياة وخصوصاً التحدّث أمام المتناظرين.

✓ تعزيز المهارات المعرفية بما في ذلك مهارات الفهم، والإستيعاب، والملاحظة، والتّدكّر، والتّحليل والإستنتاج.

مما سبق آنفاً نستنتج أنّ المناظرة لها منافع كثيرة، لأنّها بطريقة أو بأخرى تخدم الإنسانية، إذ أنّها تُساهم في

القضاء على البغضاء بين بني البشر من خلال إفراغ جميع الشّحنات السّالبة في خصمها، وتُساهم أيضاً

في خلق روح التّشاور والتّفاهم بين النّاس بطريقة حضارية تمنع الإشتباكات، وعليه فإنّ المناظرة إلى

جانب قيمتها الفنيّة والجمالية وإثرائها لحقل الأدب فإنّها أيضاً تُهدّب القيم الأخلاقية لدى الإنسان،

وتقضي على نوازع الشرّ.

(1) - عبد اللّطيف سلامي: المدخل إلى فنّ المناظرة، ص 49، 50.

5/ أهداف المناظرة:

اختلفت أهداف المناظرة وتعددت، وذلك بوصفها نشاطا تعليميا وفيما يأتي يمكن تلخيص هذه الأهداف:

- ✓ تنمية مهارات التفكير، والفهم، واستنباط الحقائق لدى الطلبة.
- ✓ توعية روح الطلبة بقضايا العامّة وزيادة إلمامها بها.
- ✓ تشجيع الطلبة على القراءة الحرّة، والإطلاع على معلومات من مصادرها الأساسية وجمعها وتوظيفها في أحاديثهم ومُحاوراتهم.
- ✓ تنمية مهارات الخطابة والعلاقة والإرتجال لديهم.
- ✓ تنمية مهارات التحليل والتّقد واستخلاص الأفكار الرئيسية.
- ✓ تطوير مهارات التّعليل والتّدليل، والمحاجّة بالمنطق والدّليل المقنع.
- ✓ إذكاء روح البحث بين الطلبة، ودفعهم لتحصيل المعارف المختلفة.
- ✓ إثراء الثروة الفكرية واللّغوية وتوظيفها في عرض الرّأي والدّفاع عنه.
- ✓ تعويد الطلبة على حسن الإنصات واحترام آراء الآخرين، والبعد عن التّعصّب والحدّة في المناقشة.
- ✓ إتاحة الفرصة للطلّاب للتعبير عن آرائهم واحترام رأي الآخرين في إطار تربوي موجّه وبناء<sup>(1)</sup>.

مما سبق نستنتج أنّ المناظرة لها أغراض تمسّ الأبعاد النفسيّة والاجتماعية والأخلاقية والعلمية للإنسان، فهي تثري قاموسه اللّغوي، وتكسبه بطريقة أو بأخرى الثّقة في النّفس، وتعلّمه معنى المواجهة، وأهمّ الإلقاء الذي يُعتبر أهمّ مَقوّمات النّجاح العلمي، فهي على غرار كونها تُضفي جمالية ورونقا في الحياة وتقضي على الرّوتين كما أنّها تصقل روح الإبداع داخل الإنسان .

6/ أركان المناظرة:

ترتكز المناظرة في أساسها على ركنين أساسيين هما: الموضوع والمتناظران.

أ/ الموضوع:

هو الذي تجري حوله المناظرة، فيحتاج إلى طرح الإشكالية أو قضية ما تُعتبر محلّ النزاع بين الخصمين، فإذا كان الموضوع تعريفا أو تقسيما سُمّي المعترض عليه (مستدلاً)، وسُمّي صاحب التعريف أو التقسيم (مانعاً)، وإذا

(1) - المرجع السابق: صص48-49.

كان الموضوع (تصديقا) أي قضية منطقية سواء أكانت مُصرّحا بها أو مفهومة ضمن الكلام، فالمعترض عليه يُسمّى (سائلا) وصاحب التصديق ومقدمه يُسمّى (معلّلا).

أما من حيث نوع الجمل فإنّ العلماء يرون أنّ المناظرة تجري في الجمل الخبرية، لأنّها تتضمن تصديق أي القضية المنطقية التي يُمكن فيها الإثبات أو النفي، ولا تجري في الجمل الإنشائية إلاّ ما تضمّنت حكم خبريا يجوز للخصم أن يطالب بتصحيح النّقل فيه.<sup>(1)</sup>

والموضوع بعبارة أخرى هو الفكرة الجوهرية التي تتكئ عليها المناظرة، وتكون المنطلق الذي ينطلق منه المتخاصمان، والملاحظ أنّ الموضوع أنواع، فقد يكون تعريفا وقد يكون تصديقا، وفي الغالب يُشكّل بؤرة خلاف وللتعبير عن أفكار كلا الطرفين فإنّ اللّجوء يكون إلى استخدام الجمل الخبرية لأنّها تُقرّ بالحجج والبراهين، في حين أنّ اللّجوء إلى الجمل الإنشائية يكون نادرا لأنّ الأسلوب فيها يكون غير مباشر، في حين أنّ المناظرة تحتاج الأسلوب المباشر.

#### ب/ المتناظران:

هما شخصان يتناظران أحدهما يبني صحّة القضية ويدافع عنها وآخر يُنفيهما ويهاجمهما، «فهما طرفان يبغيان بلوغ الحقّ يُسمّى البادئ عارض الموضوع، والمعترض مُستدلا... وذلك تبعاً لموضوع المناظرة، وقد يتغيّر الأمر أثناء المناظرة، فينقلب السائل مُعلّلا والمعلّل سائلا أو مانع مستدلا ومستدل مانعا»<sup>(2)</sup>؛ مما سبق ذكره نستنتج أنّ الطّرف الذي يهتمّ بوظيفة الجواب والدّفاع يُسمّى بالمعلّل، في حين الطّرف الذي يهتمّ بوظيفة الاعتراض والهجوم يُسمّى بالسائل وهو بدوره يهتمّ بوظيفة المنع أو النّقض أو المعارضة.

**1/ المنع:** قد يعترض (المانع) على الدّعى المقرونة بالدليل، أو يعترض على مقدّمة من مُقدّمات دليل على الدّعى المدلّلة، باعتبار هذه المقدّمة هي بدورها منزلة دعوى من الدّعاوي، ولا يُفيد هذا الاعتراض إقامة الدليل على بطلان الدّعى غير المدلّلة، أو بطلان مقدّمة الدّعى المدلّلة، وإتّما المطالبة بالدليل مع هذه أو تلك.

**2/ النّقض:** يتّجه (المعترض) في هذا المستوى أو النّاقض إلى إبطال دليل المدّعي ويكون هذا الإبطال بأساليب مختلفة، وما يُذكره لبيان وجوه الفساد هذه يُعرف بالشواهد، أي إبطال دليل الخصم بإثبات أنّه تخلّق الدليل بأن ينقض دليل المعلّل (المانع) بإثبات أنّه قد تخلّق في إحدى الصّور.

<sup>(1)</sup> - ينظر: عبد الرّحمن حسن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص378، 374.

<sup>(2)</sup> - علي جريشة: أدب الحوار والمناظرة، دار الوفاء للطباعة والنّشر والتّوزيع، المنصورة، ط1، 1989، ص66.

3/ المعارضة: تقتضي وظيفة (السائل) في هذا المستوى أو المعارض إبطال الدّعى بإقامة الدليل على نقيضها من أجل إثبات بطلانها.<sup>(1)</sup>

### 7/ مراحل المناظرة:

تمرّ كلّ مناظرة بثلاث مراحل، حتّى تصل إلى نتيجة معيّنة وقد يسبق هذه المراحل جزء تمهيدي تكون فيه تهيئة الأجواء التي ستقام فيها المناظرة، وعادة ما يكون هذا الجزء مُنفصلاً عن الموضوع شكلاً والمتّصل به ضمناً، فيكون من أحد المتنازعين لهدف خُطّط له من قبل وهذه المراحل كالتالي:

✓ **المرحلة الأولى:** وهي مرحلة المبادئ: ففي هذه المرحلة يتمّ تعيين محلّ النزاع، حتّى لا يتشتت الفريقان في أطراف حديث غير مُتطابقة يُخرجهم عن المقاصد التي يبغون تحصيلها.

✓ **المرحلة الثانية:** وتسمّى مرحلة الأواسط: وهي المرحلة التي تُقدّم فيها الدلائل التي يُظهر فيها لزوم المطلوب أي التي يسعى فيها كلّ خصم إلى التمسك بأطروحاته، وإقامة الأدلة (الحجج) والبراهين على صدقها ومحاولة إقناع الطرف الآخر من جهة ويهدف إلى دحض وإبطال حجج غيره وذلك قصد إسقاط وإبطال الأفكار الأخرى.

✓ **المرحلة الثالثة:** وتُسمّى بمرحلة المقاطع: وهي المرحلة التي ينقطع فيها البحث، وذلك عند الوصول بعد المباحثة إمّا إلى الضّرويات وهي: اليقينيّات التي يجب التسليم بها حسب الضّورة العقلية، وإمّا إلى الظنّيات التي يتمّ فيها تسليم خصم لآخر.

يتّضح من خلال هذا التقسيم أنّ المناظرة تُؤسّس من خلال تمازج ثلاث عناصر، كلّ عنصر بمثابة نقطة بداية الأخرى، حيث تُعدّ تلك الخطوات قوام وبناء المناظرة، وهذا ما يُؤكّد أنّ المناظرة جنس أدبي يتّسم بالفرادة، أي أنّها تُنسب للفئة المثقّفة (تتصل بالأدباء) تُبلور الاختلاف أو النزاع في قالب فني أدبي.<sup>(2)</sup>

### 8/ شروط المناظرة:

نجد أنّ بعض النّقاد قد عمدوا إلى وضع شروط تهمّ المتناظرين خاصّة، تُنظّم عملية المناظرة وتجعلها تسير في المنحى الصّحيح، فهي ليست مواجهة حجاجية سائلة تُقيدها ضوابط تُلزم طرفيها، وقد سمّاها القدماء آداب المناظرة وهي قواعد يكمن دورها في تخليق مجرى المناظرة خدمة للفائدة وإظهار الصّواب، فمنها من يتعلّق بما يجب على المتناظرين وهي كالتالي:

(1) - طه عبد الرّحمن: في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، صص 78، 82.

(2) - عبد الرّحمن حسن حبنكة الميداني: ضوابط المعرفة وأصول الإستدلال والمناظرة، ص 376.

- ✓ أن يتجنب المناظر الإطناب والإيجاز، فالإطناب يُمكنه أن يدفع إلى سأم مُحاوره، والإيجاز قد يكوم مُخلاً بالفهم والمعنى.
  - ✓ أن يتجنب التصادم مع الأشخاص المرموقين والمحترمين للحفاظ على مواهبهم واستعداداتهم.
  - ✓ تجنب شرح أقوال الخصم دون فهمها جيداً.
  - ✓ تجنب استعمال الألفاظ البسيطة والسهلة الفهم، وتجنب استعمال اللفظ المجمع حتى لا يفهم الخصم بالخطأ.<sup>(1)</sup>
  - ✓ نبذ التعصب للآراء من غير وجهة حق وعدم استصغار الطرف الآخر في المناظرة.
  - ✓ تجنب المناظرة في الأوقات التي يتغير فيها مزاج ويخرج عن حد الاعتدال لأن من شأن ذلك أن يوقعه في الخطأ.
  - ✓ تجنب الصفقات لا أخلاقية في التناظر كالضحك والقهقهة والكذب، وذلك بالتزام الهدوء وتجنب الوقوع في فخ الاستغفار.<sup>(2)</sup>
  - ✓ أن يكون الموضوع مما يجري التناظر فيه، فالبديهيات والمسلمات لا يجري التناظر فيها.
  - ✓ أن يجري المتناظران مناظرتهم على عرف واحد فإن كان الكلام على عرف الفقهاء فلا يلجأ الطرف الثاني إلى عرف النحاة أو الفلاسفة نحو ذلك.<sup>(3)</sup>
- ومن الشواهد أيضاً التي يشار لها بالبنان في شروط "آداب" المناظرة الإمام الشافعي في "آداب فن المناظرة".

إذا ما كنت ذا فضل وعلم	بما اختلف الأوائل و الأواخر.
فناظر من تناظر في سكون	حليما لا تلح ولا تكابر.
يفيدك ما استفاد بلا امتنان	من النكت اللطيفة والنوادر.
وأياك اللجوج ومن يراني	بأنني قد غلبت ومن يفاخر.
فإن الشرفي جنبات هذا	يمني بالتقاطع والتدابير. <sup>(4)</sup>

(1)- ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الاقتناع في المناظرة، صص 172-173.

(2)- مصطفى البشير : مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، 2010، ص 102.

(3)- علي جريشة: أدب الحوار والمناظرة، ص 66.

(4)- عبد اللطيف سلامي: المدخل إلى فن المناظرة دار بلومزيري مؤسسة قطر للنشر الدوحة، ط1، 2014، صص 52-53.

مما سبق ذكره نرى بأن الأخذ بشروط المناظرة يسهم في رفع قيمتها العلمية وعدم الأخذ بها يقلل من الفائدة الموجودة منها ويجعلها عميقة، إذ أن المناظرة الجيدة لا بد أن تكون لها شروط بمثابة مؤشر لإيجابيتها أو سلبيتها، وهذا الضمان استمرارية الحوار كي لا ينحرف عن هدف المناظرة.



## الفصل الثاني: آليات الحجاج في مناظرة

### السيف والقلم

أولاً: الآليات اللغوية.

ثانياً: الآليات النحوية.

ثالثاً: الآليات غير اللغوية.

تمهيد الفصل:

تأثر الأندلسيون بأدب المشرق وقلدوه في أغراضه وفنونه، إلا أنهم لم يكن لهم حظ واضح في النشر تقليداً، ولا إبداعاً لاسيما في السنوات الأولى للحكم الأموي، إذ: "لم يكن للكتابة الفنية مجال واسع مدة حكم الأمراء الأولين في الأندلس، لأن الحال السياسية والاجتماعية لم تكن استقرت بعد، فلم يكن هناك ما يساعد على نمو الكتابة في الموضوعات الاجتماعية أو الخيالية أو الفنية".

فمما يختلف فيه اثنان فإن العصر الذهبي للكتابة الفنية كان في عهد الخلافة وملوك الطوائف، حيث شهدت نهضة فذة وسلكت مسلكاً جديداً في أغراضها ومعانيها وأسلوبها.

إذا كانت المناظرة قد عرفت في المشرق حضوراً فإنها في الأندلس لاقت رواجاً واسعاً، ووجدت في المجتمع الأندلسي بيئتها الخصبة مجتمع يضم أجناساً كثيرة؛ فاهتموا بالمناظرة اهتماماً بالغاً وذلك لما لها من أهمية في الحياة السياسية، متخذين إياها معولاً لنصرة مذاهبهم وقضاياهم الفكرية والمذهبية<sup>(1)</sup>، وعليه فالمتبع للمناظرة الأندلسية سيجدها قد لامست جوانب من الحياة متعددة على غرار نظيرتها المشرقية، فالمناظرة فن يهدف الكاتب فيه إلى إظهار مقدرته البيانية وبراعته الأسلوبية وهي نوعان: خيالية، وغير خيالية<sup>(2)</sup>، هذه المناظرات الخيالية تندرج ضمن مناظرات الجمادات، فهي بدورها تجري على ألسنة غير البشر، تميزها لها من المناظرات الواقعية التي تقع على ألسنة بني البشر.

وقد بدأ هذا النوع من المناظرات، منذ العهد السومري والبابلي مجسداً في شكل أساطير، كما كان له حضور قوي في المشرق على نحو ما كان عند الجاحظ وغيره، والمتبع للمناظرات الخيالية بالأندلس يقف على أمر هو أن الأندلسيون لم يعنوا كثيراً بها. أو ربما ضاع جليها ولعل أكثر ما تكلموا بلسانه هو الزهر، بأنواعه وأشكاله وما عدا ذلك فقليل على نحو، ما نجد من مناظرات بين المباني والأدوات وحتى المدن، وتعتبر مناظرة السيف والقلم اليتيمة العصماء التي تجاوز صيتها ربوع الأندلس<sup>(3)</sup>

وقد شغلت هذه الثنائية (السيف والقلم)، بالكتاب والشعراء على مر الزمن وذلك لأهميتها في تسيير شؤون البلاد والعباد يقول ابن خلدون: "أعلم أن السيف والقلم كلاهما آلة لصاحب الدولة يستعين بها على

(1) - ينظر: أمانة بن منصور: المناظرة في الأندلس، صص 11-12.

(2) - [www.startimes](http://www.startimes.com) (13 :00) Com 23/06/2019 .

(3) - ينظر: المرجع السابق، صص 141-142.

أمره؛ فابن خلدون طرق هذا الباب من غير أحكام مسبقة ولم يكن هدفه الانتصار لطرف على الآخر وإنما عالج الأمر بموضوعية ولم ينتصر للقلم وهو من رموزه.

ولقد أكثر الشعراء القول في السيف والقلم وكانوا إلى الأول أميل على اعتبار أن الكلمة الفصل هي السيف به تقام الدول، ولعل أول من سبق إلى المفاضلة بينهما في الأندلس، بل أقام بينهما حلبة صراع اشتد وطيسها هو " أبو حفص ابن برد الأصغر " وهو أبو حفص أحمد <الأصغر> بن محمد بن أبي حفص أحمد <الأكبر> بن برد مولى أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن شهيد.

كان أحمد بن برد الأصغر من أهل بيت جاره ورئاسة فقد كان جده أحمد بن برد الأكبر <335-418هـ> وزيراً في أيام الدولة العامرية، وقد قرأ أحمد الأصغر على جده فنون الأدب والعلم كما تعلم على يده صناعة الكتابة ثم مارسها قبل أن يتوفى جده <سرقسطة، 418هـ-1027م>.

كان آل برد يعيشون في قرطبة، ويبدو أنهم تركوها في المحرم من سنة 407هـ <حزيران- يونيو 1016> لما ضيق علي بن حمود المستبد بقرطبة على الذين كانوا قد خدموا سليمان المستعين الأموي وفيهم جده أحمد بن برد الأكبر، والذي أرجحه أنهم انتقلوا إلى مدينة دانية فاتصل أحمد الأصغر بمجاهد العامري <408-436هـ> ثم إنه انتقل إلى المرية، قبل 440هـ <1048م>، وقد قال الحميدي: "وقد رأيت بالمرية بعد الأربعين وأربعمائة زائراً الأبي محمد علي بن أحمد غير مرة"، وقد استوزره المعتصم بن صمادح، وبما أن المعتصم بن صمادح جاء إلى حكم المرية سنة 444هـ، فالمنتظر أن يكون ابن برد قد بقي في المرية بعد ذلك مدة، وكذلك صنف ابن برد كتاباً للمعتصم بن صمادح ورفعته إليه، ولا ندري أفعال ذلك قبل أن يلي الوزارة <وهذا أقرب إلى المعقول لأن مقتل هذا العمل يكون لتقرب الإنسان من ذوي الجاه وقل ما ينفذ بعد والوصول إلى الوزارة> أم بعد ذلك.

ولعل وفاة أحمد بن برد الأصغر كانت في حدود سنة 450هـ <1058م> أو بعد ذلك بقليل، في المرية على الأرجح.

كان أحمد بن برد الأصغر كاتباً بليغاً له رسائل سلطانيات ورسائل إخوانيات، وهو كثير التأنق والتكلف فيها، وكذلك كان شاعراً مليح الشعر له قصيد ورجز، وقيمة شعره إنما هي في أنه يأتي بالصناعة البارعة في التركيب البدوي المتين، وأكثر شعره الوصف، وقد اشتهر برسالة السيف والقلم وهي مباراة في بيان فضل السيف وفضل القلم.<sup>(1)</sup>

(1) عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط02، 1984، ج04، صص510-511.

إذ تعد رسالة السيف والقلم من أهم رسائل أبي حفص بن برد وأكثرها ذيوعا، إذ وصفها صاحب الذخيرة بأنها ( من بدائع العجم، المستنزلة للعصم)، وذلك لجدة موضوعها وطرافته ولكونها أنموذجا يمثل طريقة ابن برد في الإنشاء، ويكشف عناصر صنعته وسعة اضطراره وثراء معارفه، وتنوع ثقافته، وقد كتبها إلى الموافق "أبي جيش مجاهد".<sup>(1)</sup>

وبهذا عرفت الساحة الأدبية في الأندلس تطور وتنوع في هذه المناظرات، فمنها ما هو خيالي كمنظرة النباتات ومناظرة الجمادات، ومنها ما هو غير خيالي، كالمناظرات بين المدن.

## أولا: الآليات اللغوية:

### 1/ الأدلة الجاهزة " الحجج بالشاهد ":

تعد الشواهد أو الأدلة الجاهزة من دعائم الحجج القوية ووضع المخاطب في الموضوع المناسب، وهنا تتجلى البراعة في توظيفها بحسب ما يتطلبه السياق، فيكمن دورها في توظيفها التوظيف المناسب في الخطاب وبهذا تعطي الكلام العادي درجة، هذه الآلية تساهم في رفع ذات المخاطب ومنحها قوة سلطوية بالخطاب،<sup>(2)</sup> فهي تشمل الآيات القرآنية والآيات الشعرية وغيرهما، ومن خلال دراستنا لرسالة ابن برد الأصغر التي تنتحل تشكل المناظرة تنوعت هذه الشواهد فنجد القرآن الكريم والشعر والأمثال...

وسنقوم بعرض نماذج عن هذه الشواهد وكيف استخدمها كل طرف سواء للدفاع عن أطروحة أو في دحض الأطروحة الأخرى.

### أ/ الشواهد:

لها دور كبير في دحض حجج الخصم، فالشواهد مهمتها توضيحية والأمثلة مهمتها برهانية، فالأولى تعتبر نموذجا يحترم ويقتدي به، والثاني يستعمل من أجل أخذ الفكرة المطروحة،<sup>(3)</sup> وذلك من أجل الإقناع فالشاهد والمثال ينتجان إقناعا، ويعتبران بمثابة قوة ساطعة ودليل في كامل قوته وسندكر بعض الشواهد والأمثال من المناظرة التي بين أيدينا:

(1) - دنيا ملكاوي: الشر الخيالي في الأندلس في القرنين الخامس والسادس الهجريين ( الشكيل والتأويل)، دار الآن ناشرون، عمان، 2018، ص 116.

(2) - حافظ إسماعيل علوي: الحجج مفهومة ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج4، ص 128.

(3) - ينظر محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجج في البلاغة العربية، صص 131-132.

❖ الشواهد الدينية:

وهي من أقوى الحجج ومن أمثلتها ما جاء في مناظرة السيف والقلم، حيث يبدأ القلم متفاخرا بقداسته التي غمرته مستنبطا هذا التباهي من بعض آيات الذكر الحكيم فيبدأ حديثه بصيحة تضيء على الجو الخيالي واقعية في قوله:

« ها، الله أكبر أيها المسائل بدءا يعقل لسانك، ويحير جنانك، وبديهة تملأ سمعك، وتضيق ذرعك، خير الأقوال الحق، وأحمد السجايا الصدق، والأفضل من فضل الله عز وجل في تنزيله، مقسما به لرسوله، فقال: « ن .وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ»، وقال: « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ».<sup>(1)</sup>

فكان النص القرآني بمثابة تدعيم لرأيه وإقناع لخصمه على لسان القلم، هذا الشاهد قويا ذلك أن القلم يتفاخر بما أورده فيه القرآن الكريم، موضحا رأيه فالقرآن الكريم لا جدل فيه فهو لا يتبدل ولا يتغير وهو بهذا "القلم" أخذ الفضل الكبير والريادة.

هذا كله من أجل إنتاج الإقناع والبرهنة، كما أن له أثر كبير في المناظرات، مما يكسبها الجودة والمتانة في اللفظ، ويعطي وجهة نظر كل من الخصمين القوة والدليل على موقفه.

❖ الشواهد الشعرية:

إلى جانب القرآن الكريم نجد ابن برد ضمن في مناظرته بعض الأشعار، فالشعر وظف في المناظرة كحجة وشاهد على قضية ما، وفي مفاخرته بين السيف والقلم ختم أتى به في رسالته بقصيدة شعرية، ممهدا لها فقال: « إن النثر في ذلك مثل يسير، وإن الشعر في ذلك ذكر خطير، وإنه لشد والحادي، وازاد الرائح والغادي واختاره على النثر، تنويها بالذكر، فقال:

مد سخرا لفتى حازا العلى بهما	قد آن السيف ألا يفضل القلما
فإنما يجتنى من بعض عز سهما	أن يجتبي المجد غضا من كمائمه
عين النهى قرعا سنيهما قلما»؛ <sup>(2)</sup>	...حتى إذا نام طرف الجهل وانتهت

من خلال هذا الشعر نلاحظ أن ابن برد في مناظرته هذه يدعو إلى تحقيق الموازنة والمساواة بين هذين الطرفين السيف والقلم، وعبر عن هذا الرأي بصراحة قوله: « أن للسيف أن لا يفضل القلم »؛ وبهذا كان الشعر

<sup>(1)</sup> - ابن بسام الشتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج01، القسم 01، تح، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص 524.

<sup>(2)</sup> - المصدر نفسه: ص 528.

وسيلة لبيان فضل القلم والسيف فكان الحوار بارزا من خلال طرحه لبعض الأشعار وكانت حجة ابن برد في المساواة بين الخصمين رغم أنه كان متحيز للقلم إلا أن هذا التحيز غير ظاهر للعامه.

### ب/ الحجاج بالمثل والحكمة:

تستعمل الأمثال كحجة يراد بها إثبات أطروحة ما، أو يفند بها أطروحة الخصم، وهذا ما يتضح لنا من خلال المناظرة التي بين أيدينا، حيث وظف " ابن برد الأصغر " المثل في مفاخرته بين السيف والقلم، وافتتح كل محاوره بمثل يجسد الحجة التي يدحض بها كل طرف خصمه، وبقية الجمل تأتي كتوضيح للمثل مدعمة فيقول: «من ساء سمعا ساء إجابة، أستعيد بالله من خطل أروعيت فيه سوامك، وزلل افتتحت به كلامك، إن ازدراءك بتمكن وجداني، وبخس أثمانني، لنقص في طباعك وقصر في باعك».<sup>(1)</sup>

ويرد عليه السيف في أمثال أخرى انتفاضا من قيمته قائل: « جمعجة رحي لا يتبعهما طحن، وجلجلة رعد لا يليها وزن، في وجه مالك تعرف أمرته، وجه لئيم، وجسم سقيم، وغرب يفيل، ودم يطل، ودموع سجام، وكأنهن سخام»<sup>(2)</sup>؛ فالسيف يحاول إثبات نفسه وذلك بمعايرته للقلم ونعته بأنه جمعجة بلا طحن فهو فوضى وكلام بدون فائدة ثم تأتي القلم ردا عليه في مثل آخر: « إن كنت ريحا فقد لاقيت إعصارا، ما كل بيضاء شحمة ولا كل سوداء تمرة»<sup>(3)</sup> وبهذا فالمثل هنا جاء كحجة رد بها القلم على خصمه السيف متباهيا متفاخرا بنفسه ومكانته، فمن خلال هذه الأمثال يريد كل من السيف والقلم إثبات أفضليته ويدافع بها المحاور ويدعم بها رأيه "السيف والقلم".

إلى جانب المثل نجد الحكمة تأتي كحجة يدعم بها المتكلم موقفه ورأيه، فالحكمة لها أهمية كبيرة، إذ تمثل خبرة عامة لدى الجماعة، ومن أمثلة الحجاج بالحكمة ما جاء في مناظرة السيف والقلم في قوله: « هل يصلح الدر حتى يطرح صدفه»<sup>(4)</sup> وهنا القلم يحاجج السيف، وذلك في أنه لا يصلح الدر حتى يستخرج من صدفه كالدُر، فلا قيمة لدر إلا إذا استخرج من صدفه، وحجته هنا أن القلم وهو عار لا يحتاج إلى غمد وغطاء، وشبهه بالدر وهذه الحجة كرد على خصمه " السيف " وتبريرا لموقفه.

وبهذا فالمثل والحكمة استعملهما "ابن برد" كحجة مدعما بها رأيه لما لهما من أهمية كبيرة كونهما يمثلان خبرة عامة ذات قاعدة تاريخية واجتماعية ترسخت في اللاشعور الجماعي للمتلقين، ووسيلة لدحض آراء خصومه

<sup>(1)</sup> - ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 525.

<sup>(2)</sup> - نفسه: ص 526.

<sup>(3)</sup> - نفسه: ص 526.

<sup>(4)</sup> - نفسه: ص 525.

فالمثل والحكمة تتضمن خبرات شعوب وحكمها وخلاصة تجاربها الحياتية وجاء كحجة وإثبات دافع بها كل من السيف والقلم في مفاخرتهما فكل منهما يدعم بها رأيه.

### ج/ الحجج بالسخرية والتجريح:

تستخدم السخرية والتجريح في تأكيد فكرة ما حيث يرى برونونير أن للسخرية صلة وثيقة بالحجاج، إذ يعتبرها تناقض قيما حججيا مما يسمح بقيام جملة ساخرة كونها حجة على فرضية أو قضية ما.<sup>(1)</sup>

من آداب المناظر كما ذكرنا سابقا أن المناظر لا يلجأ إلى السخرية ولا التجريح غير أن الحجج بالسخرية والتجريح كان حاضرا في مناظرة " ابن برد الأصغر "، وذلك لتأكيد وإثبات فكرته، ففي مناظرة " السيف والقلم " نجد بينهما حوارا شديدا، قاسيا يدخل في باب التساب والتهاجي قال السيف: « يا لله استنتت الفصل حتى القرعى، ورب صلف تحت الراعدة لقد تحاول امتدادا بباغ قصيرة، وانتفاضها بجناح كسيرة، أمستغرب والفلس ثمنك، ومستجلب وكل بقعة وطنك؟ جسم عار ودمع نار، تخفى فتتخل بربا حتى يعود جسمك فيا»<sup>(2)</sup>؛ ونلاحظ هنا سخرية لاذعة حيث وصفه بحقارة مظهره وراثته الحال وبخس الثمن، فرد عليه القلم بأسلوب هادئ مدعم بالأدلة والأسانيد لا يدحض كل ذلك، فقال: « من ساء سمعا ساء إجابة، أستعيد بالله من خطل أرميته فيه سوامك وزلل افتتحت به كلامك، إن ازدرائك يتمكن وجداني، وبخس أثمانى، لنقص في طباعك، وقصر في باعك، إلا وإن الذهب معدنه في العفر، وهو أنفوس الجواهر، والنار مكنها في الحجر، وهي إحدى العناصر، وإن الماء وهو الحياة، أكثر المعاش وجدانا، وأقلها أثمانا، وقلما تلقى الأغلاق النفيسة إلا في الأمكنة الخسيسة ». <sup>(3)</sup>

فاشتد بينهما الجدل والحوار كثيرا إذ نجد هنا حججا ساخرا فالسيف أراد أن يبين أنه أفضل من القلم فلجأ إلى تحقيره وتصغيره وهذه الحجج يثبت من خلالها كل واحد منهما أفضليته على الآخر، فجاءت هذه الحجج في قالب تمكيمي، فمواجهة السيف والقلم وقيامه بتجريحه كان واضحا، وذلك بإبراز عيوبه، إذ عمد السيف بالهجوم عليه وكان التجريح كالتالي:

1- السيف يطرح فكرته.

2- القلم يقدر في السيف.

(1) - سامية الدريدي: الحجج في الشعر العربي بنيتة وأساليبه، ص 164.

(2) - ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 525.

(3) - المصدر نفسه: ص 525.

3- إذن فكرة السيف باطلة.

وهذا ما اتضح لنا في مناظرة السيف والقلم وذلك لتنفيذ رأي الطرف الآخر أو الطرف المعارض. فابن برد في مفاخرته لجأ إلى التجريح والسخرية وهذا يعتبر حجة دامغة من أجل كسب المتلقي وإضعاف خصمه وإحراجه.

### د/ الحجج بالواقع:

اعتمد "ابن برد" في مناظرته على الحجج الواقعية، وذلك للبرهنة على صحة موقفه من جهة واستمالة المتلقي من جهة أخرى فنجد الحجج المستمدة من الواقع كثيرة ومتنوعة فكل من أطراف المناظرة "السيف والقلم" يستعينون بالواقع في تدعيم موقفهم ويمكن أن نعطي على ذلك أمثلة إذ نجد فيما يخص حجج القلم قوله: « وما أنا إلا قطب تدور عليه الدول »<sup>(1)</sup>؛ أي أنه مستعمل في جميع أنحاء العالم وهذا أمر صحيح وواقعي، وأيضاً مستعمل من طرف الملوك ويقضي غايتهم في أكثر الأحيان: « شفيح كل ملك إلى مطالبه... »<sup>(2)</sup>؛ أما بالنسبة لكلام السيف قد كان في متنه حجج واقعية تتمثل في تسابق الملوك على امتلاكه، وهذا أمر واقعي خصوصاً في العصور القديمة إبان الحروب والخلافات، فما من أمير وملك كان يحكمان إلا وكانا يعلقان على خصورهم سيفاً وحثته في ذلك: « إن الملوك لتبادر إلى دركي، وتحاسد في ملكي ».<sup>(3)</sup>

كما يوجد في رد القلم مرة أخرى على السيف حجة واقعية في قوله: « أن الأشياء الثمينة قد يكون ثمنها قليلاً كالماء تماماً »<sup>(4)</sup>؛ لذلك يجب الحكم عليه من ثمنه وهذه حجة واقعية، وفي حجج السيف أيضاً نجد: « أكرع يوم الوغى في لبة البطل »<sup>(5)</sup> وهذه أيضاً حجة واقعية.

إذن نستنتج أن الحجج الواقعية برهان قوي يؤدي إلى الإقناع الفعلي للمتلقي، لأنهما بمثابة شاهد حي مشهود عليه في الحياة يلجأ إليه الخصمان في مناظرتهم فيتنافسان على الإتيان بحجج تحدم السياق المراد.

(1)-ابن بسام الشنتربي: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 525.

(2)-نفسه: ص 525.

(3)-نفسه: ص 525.

(4)-نفسه: ص 525.

(5)-نفسه: ص 526.



2- الآليات التعبيرية الوصفية:

البنى اللغوية:

وهي المتمثلة في تلك المهارات الأسلوبية التي تعتبر من أهم العوامل، لأنها تبرز الحجاج وتقويته وعلى هذا الأساس تعد ظواهر أدبية وبلاغية خطابية في آن واحد.<sup>(1)</sup>

وبهذا فهذه البنى لها أهداف حجاجية، ومن تلك البنى الأسلوبية التي استعملها " ابن برد " في مناظرته " السيف والقلم " نجد: البنية الاستفهامية، وبنية التكرار والتوكيد، وفي هذا السياق نذكر ما يلي:

1 / البنية الاستفهامية:

من الأساليب الإنشائية الطلبية « وهو طلب العلم بشيء لم معلوما من قبل بأداة خاصة وأدوات الاستفهام كثيرة منها: الهمزة وهل »<sup>(2)</sup>. ولكن ليس بالضرورة أن يكون الاستفهام ينتظر جوابا، فأحيانا ينتظر إجابة وأحيانا لا، وهو من أبرز الأساليب الإنشائية البلاغية التي تلعب دورا كبيرا في عملية الحوار والإقناع والاستفهام في المناظرة لا يرتبط بدلالته الحقيقية إلا فيما ندر، بل يؤدي أغراضا أخرى تعكس الطاقات الحجاجية التي ينطوي عليها.<sup>(3)</sup>

وقد وظف ابن برد الاستفهام في مفاخرته بين السيف والقلم واستعمله كحجة، ف جاء على لسان القلم في قوله: « وهل يصلح الدر حتى يطرح صدفه »<sup>(4)</sup>؛ فالظاهر هنا أن الاستفهام طرح من طرف القلم على السيف، لكن هذا السؤال لا ينتظر إجابة بل هو تعظيم لشأن القلم " الدر وهو الألماس والقلم شبه نفسه بالدر " وتحقير للسيف الذي ينظر للمظهر يهمل الجوهر وهذا استفهام مميز غير حقيقي غرضه الإنكار.

وفي قوله أيضا على لسان السيف: « أمستغرب والفلس ثمنك، ومستجلب وكل بقعة وطنك؟ »<sup>(5)</sup>؛ فأسلوب الاستفهام في هذه العبارة غرضه التحقير، أي تحقير القلم من طرف السيف وهو استفهام غير حقيقي.

(1) - محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة، ص 195.

(2) - عبد العزيز عتيق: علم المعاني، ص 88.

(3) - ينظر: عبد اللطيف عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 215.

(4) - ابن بسام الشنتري: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 525.

(5) - المصدر نفسه: ص 525.

ويقول أيضا على لسان القلم: « فما تراني وقد حللت بين جفن الإيمان وناظره، وجلت بين قلب الإنسان وخاطره؟ »<sup>(1)</sup>؛ فالقصد من هذا الاستفهام هو التهكم بالطرف الآخر في المناظرة، والإقرار بالأفضلية إذ لا ينتظر جوابا بل يلزمه الحجة عن طريق إجابة نفسه بنفسه.

إذن فالاستفهام أسلوب إنشائي يخدم الحجاج كثيرا ويبسط سبل إقناع المتلقي، ويكون عند طرفي المناظرة " الخصمين " فكلاهما يستعملانه، وهو أسلوب قوي جدا خصوصا أنه يخرج لأغراض بلاغية كثيرة ومتنوعة حسب السياق الذي يرد فيه على غرار وظيفته التي تتمثل في طلب شيء ما، فهذه الوظيفة تغيب تقريبا في المناظرات وتعوضها الأغراض البلاغية الأخرى.

## 2/ بنية التكرار والتوكيد:

تجمع الدراسات الدائرة حول الحجاج على أهمية الدور الذي يضطلع به أسلوب التكرار أو المعاودة، وهو أسلوب شائع في الخطابات على تنوع مواضيعها واختلاف أجناسها، إذ يساعد على التبليغ والإفهام ويعين المتكلم على ترسيخ الرأي أو الفكرة في الأذهان، فمتى ردد المحتج لفكرة حجة ما أدركت مراميها وبانت مقاصدها<sup>(2)</sup>.

وهنا سنحاول أن نذكر بعض البنى التكرارية التي استعملها ابن برد في مناظرته وهي كما يلي: فالتكرار في رسالة السيف والقلم قد كان تكرر معنوي ولفظي أيضا، فأما التكرار اللفظي فيخصص تكرر حروف الجر والعطف خصوصا حرف الواو والذي يربط بين الحجج بالإضافة إلى حرف " من " و " على " و " فاء السببية " وذلك في قوله: « فإن التسابق من جوادين سبقا في حلبة »<sup>(3)</sup>، « فما تراني، وقد حللت بين جفني الإيمان وناظره »<sup>(4)</sup>، وفاء الاستثنائية في: « فقال القلم، فقال السيف »<sup>(5)</sup>، « والتفاخر من زمرتين »<sup>(6)</sup>، « من ذكر الطبيعة إلى ذكر الشريعة »<sup>(7)</sup>، « ومن وصف الخصلة إلى وصف الملة... »<sup>(8)</sup>، وغيرها من تكرر الحروف، وأما بالنسبة لأسباب تكرر هذه الحروف المتنوعة ( حروف العطف، حروف الجر... ) فكان لسبب وهو إحداث الاتساق بين الجمل والعبارات، ومنه الترابط بين الألفاظ وهذا ما ساهم بطريقة أو بأخرى في تقوية الحجج في

(1) - المصدر السابق: ص 524.

(2) - ينظر: عبد الجليل العشاوي: الحجاج في الخطابة النبوية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012، صص 149-150.

(3) - بن بسام الشنتري: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 523.

(4) - نفسه: ص 524.

(5) - نفسه: ص 524.

(6) - نفسه: ص 523.

(7) - نفسه: ص 524.

(8) - نفسه: ص 524.

المناظرة المدروسة مبرزاً بذلك فكرة كل من السيف والقلم، أما بالنسبة لتكرار الكلمات فقد تكررت لفظة القلم والسيف عدة مرات وهذا بحكم المناظرة التي تقتضي سؤالاً وجواباً وحواراً، فتارة يتحدث القلم ويدلي بحججه وتارة أخرى يتحدث السيف، لذلك نجد عبارة " قال السيف، قال القلم " وهكذا دواليك؛ ومنه فالتكرار هنا يراد منه تأكيد الحجة أضف إلى هذا لا ننسى التحدث عن أدوات التوكيد أيضاً للتأثير في المتلقي وإيصاله إلى درجة الإقناع كما في المناظرة فأدوات التوكيد " إن وأن... " تكررت كثيراً في المناظرة: « أن السيف والقلم لما كانا مصباحان يهديان إلى القصد »<sup>(1)</sup> « وأن الدر، وأن البناء... وأن امرءاً... »<sup>(2)</sup> وغيرها فهذه الأدوات قد ساهمت في تمثين الحجج والبراهين، وجعلها أقوى لتحدث في نفس المتلقي قناعة.

أما بالنسبة للتكرار المعنوي قد كان من خلال تكرار المعاني والأفكار، وهذا ما نلمسه على طول رسالة السيف والقلم، فالكاتب قد تعمد هذا التكرار من أجل أن يحقق الانسجام المعنوي بين الحجج والبراهين، لكل طرف في المناظرة ( السيف والقلم ) ويتجسد هذا من خلال توظيف الكلمات المترادفة كالدور ( الألباس ) والجواهر الفخر والتفاخر، ذكر المصباحان: « ولما كان القلم والسيف مصباحين يهديان إلى القصد »<sup>(3)</sup>؛ وذكر السراج، فالسراج والمصباح كل منهما ينير الطريق، إذن هنا قد حدث تكرار معنوي.

أضف إلى هذا تكرار الأساليب الشرطية مثلاً في قوله: « من ساء سمعاً ساء إجابة »<sup>(4)</sup>، وأيضاً لولا جلاء الصياقل صدك لأسرت، وهذا راجع لكون الأساليب الشرطية تقويه وتمتته بشكل كبير من خلال التأكيد على فكرة معينة.

إذن فالتكرار خاصية يتميز بها النص الحجج كما في هذه المناظرة، وذلك من أجل دعم الحجة وتقويتها بطريقة غير مباشرة تجعل المتلقي تدريجياً يقتنع بفكرة معينة، فهو بعد لم يحس بالرتابة وهو يتلقى تلك الحجج، لأن التكرار يكون بصيغة فنية مميزة وليس مملاً.

### 3/ أضرب الخبر:

من البنى اللغوية التي اعتمدها "ابن برد الأصغر" في مناظرته السيف والقلم بنية الخبر، الذي يتخذ عند البلاغيين ثلاثة أشكال، وقد وردت في المناظرة بشكل واضح.

(1) - ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 523.

(2) - المصدر نفسه: صص 523 - 524.

(3) - المصدر نفسه: ص 523.

(4) - المصدر نفسه: ص 525.

**الخبر الابتدائي:** وهو الخبر الخالي من أية أداة للتوكيد ويرد في المناظرة في سياقات الوصف أو سرد الأحداث والحجج الواقعية منه قوله: "ونهدم بنيانها"<sup>(1)</sup>، وهذا الضرب من الخبر يأتي لما يكون "المخاطب خالي الذهن من الحكم بأحد طرفي الخبر على الآخر، والتردد فيه استغنى عن مؤكدات حكم"<sup>(2)</sup>، فيورد "ابن برد" هذا الخبر لإعلام أحد طرفي المناظرة بحكم يجعله أصلا فلا يستدعي أية وسيلة للتأكيد.

**الخبر الطلبي:** وهو ما تطلب أداة واحدة للتأكيد في مثل قوله: «فإن التسابق من جوادين سبقا في حلبة»<sup>(3)</sup>؛ فاعتمد أداة إن لتوكيد المعنى المراد وهذا الضرب يستعمل "إن كان متصور الطرفين مترددا في إسناد أحدهما للآخر... حسن تقويته بمؤكد، كقولك: لزيد عارف، أو إن زيد عارف"<sup>(4)</sup>، فاستعمل هذا الضرب جوابا لسؤال يطرحه الخصم فاحتاج خصيمه لتأكيد مستعملا أداة التأكيد إن.

**الخبر الإنكاري:** وهو ما يستعمل للرد على من ينكر إجابتك ويبالغ في إنكاره وذلك باستعمال أداتي توكيد أو أكثر ومنه قول بن برد: «إن امرءا صيرني رسيه لمفدي»<sup>(5)</sup>، والأداتان هما "إن" و"لام" التوكيد، كما قد يستعمل هذا الضرب من الخبر للرد على من أنكر منكرا، فقولنا "إن عبد الله لقائد" جواب عن إنكار منكر<sup>(6)</sup> كرد على من سألك عن حال عبد الله فتجيبه ثم ينكر عليك ذلك وتحتاج لتأكيد الأمر له.

هذا الاختلاف في التراكيب راجع إلى مقتضى الحال فإذا كان غرض المخبر بخره إفادة المخاطب أحد الأمرين فينبغي أن يقتصر من التركيب على قدرة الحاجة<sup>(7)</sup>، فلا داعي للحشو والإضافة لغير حاجة حتى لا تفسد تفسد المقاصد البلاغية وتضعف حجة المناظر أمام خصمه.

## ب/ الوجوه البلاغية:

تعتبر الوجوه البلاغية أو الصور البلاغية من الأشكال والصيغ اللغوية ذات المدى الحجاجي، التي كثيرا ما تنظر إليها نظرة أدبية، ولكن على الرغم من ذلك فإن بعضها يستخدم في الخطاب لأجل حاجات الحجاج، لأنها

(1) - المصدر السابق: ص 527.

(2) - الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تح: أحمد شنيوي، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1، 2016، ص38.

(3) - ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 123.

(4) - الخطيب القزويني: ص 38.

(5) - ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 524.

(6) - الخطيب القزويني: ص 39.

(7) - المصدر نفسه: ص 38.

ذات قيمة حجاجية،<sup>(1)</sup> ولهذا تعتبر الوجوه البلاغية من أهم البنيات الحجاجية التي يقوم عليها البناء العام للمناظرة، وهي بدورها لا تنحصر وظيفتها على الزخرفة وتنميق القول، بل ترتبط أكثر بوظيفتها الحجاجية المتمثلة في إبراز وإقناع المتلقي لأنها لها من القوة الحجاجية مالا يمكن أن تؤديه الأقوال المبنية على الحقيقة، فهذه الوجوه تتسع إلى ما يعرف " بالحليل التعبيرية "<sup>(2)</sup> ومن أمثلتها في مناظرة " السيف والقلم " نذكر ما يلي:

### 1 / التشبيه:

لقد اختلف البلاغيون في تعريفاتهم للتشبيه لفظاً، في حين أنهم اتفقوا في وضع معناه، فاعتبار التشبيه من أهم الصور البيانية فيمكن رصد مفهوم شامل له فهو: « بيان أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدرة، تقرب بين المشبه والمشبه به في وجه الشبه ».<sup>(3)</sup>

وفي المناظرة المدروسة تعددت التشبيهات وتنوعت المحاجج وفجاء التشبيه كحجة دعم بها المحاجج أطراف المناظرة، وتجسدت على شكل براهين مقنعة ومن أمثلة ذلك نذكر في قوله: « وهل أنا إلا قطب تدور عليه الدول، وجواد شأوه يدرك الأمل »<sup>(4)</sup>؛ وهو تشبيه بليغ شبه نفسه تارة بالقطب وتارة بالجواد، إذ حذفت الأداة مما جعل درجة القوة الحجاجية للتشبيه البليغ أشد قوة وأكثر تأثيراً في نفس المتلقي علماً أن مراتب قوة التشبيه مبنية على حذف أداة التشبيه ووجه الشبه فالحذوف هنا أقوى وأبلغ لما حذفت الأداة.

كما جاء التشبيه البليغ في قوله على لسان القلم: « انجلي عن المهارق انجلاء الغمام عن الحدايق »<sup>(5)</sup>؛ حيث شبه القلم انجلاءه عن العيون مثل انجلاء السحاب عن الحدايق، ووجه الشبه في ذلك البيان ووضوح الرؤية، وفي غياب أداة التشبيه ووجه الشبه الذي يفهم من سياق الكلام يتشكل لدينا التشبيه البليغ.

وفي قوله أيضاً ما جاء على لسان السيف: « أهتك الأمة هتك الرداء »<sup>(6)</sup>؛ تشبيه بليغ حيث شبه الكاتب هتك الأمة وهو المشبه، بهتك الرداء وهو المشبه به وحذف أداة التشبيه ووجه الشبه.

(1) - ينظر: عبد الله صولة، الحجاج أثره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابية الجديدة لبرلمان و تينكا، ص 318.

(2) - حافظ إسماعيل علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته، ج4، ص 111.

(3) - عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية علم البيان، دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1985، ص 62.

(4) - بن بسام الشنتري: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 525.

(5) - المصدر نفسه: ص 525 - 526.

(6) - المصدر نفسه: ص 524.

كما ورد أيضا في قوله على لسان السيف: « أبرز براز الهندي يوم الجلاء »<sup>(1)</sup>؛ تشبيهه بليغ حيث شبه الكاتب براز صاحب الكلام ذلك ببراز السيف الهندي دون أن يذكر أداة التشبيه ووجه الشبه لهذا قد جاء التشبيه بليغا.

وكما لاحظنا أن ابن برد في مناظرته وظف التشبيه البليغ بصورة مكثفة، وذلك ليضفي عليها قوة حجائية إقناعية.

وفي المقام نفسه نجد نوعا آخر من التشبيه وهو التشبيه الضمني في قوله على لسان القلم: « وهل يصلح الدر حتى يطرح صدفه »<sup>(2)</sup>؛ حيث شبه القلم نفسه بالدر ( أي اللؤلؤ النفيس)، لكن هذا التشبيه ليس ظاهرا بل يفهم من سياق الكلام ومن طياته، فالمشبه هو القلم والمشبه به هو الدر " اللؤلؤ النفيس " الذي تصنع به الجواهر الفاخرة، وأما وجه الشبه فهو القيمة العالية والغالية، فالتشبيه هنا يكون أكثر حجاجا لأنه غير ظاهر، فكلما كان أكثر خفاء كان أجود، وهذا ما يزيد حجاجة التشبيه الضمني قوة، فيحتل أعلى منزلة في السلم الحجاجي.

وأيضا يتجلى التشبيه الضمني في قوله على لسان القلم: « ما كل بيضاء شحمة ولا كل سوداء تمرة »<sup>(3)</sup>؛ فهذا التشبيه ضمني استعمله القلم للدلالة على عدم أفضلية السيف وللإحاطة به، وبحججه وأثره في المعنى الوضوح والدفع إلى عدم الإكتراث بالمظهر.

وبهذا فحجاجة التشبيه الضمني تكون أكثر قوة من التشبيه البليغ، فيكون التشبيه هنا أكثر تأثيرا مما يتركه هذا التشبيه في نفوس المتلقين ويجعلهم يصدقون فكرة أو رأي، كما فعل القلم مع السيف، فجاء التشبيه لتقبيح خصمه والتقليل من شأنه، وبهذا راوح " ابن برد " في مناظرته بين أنواع التشبيه فنجد التشبيه المؤكد في قوله: « إن السيف والقلم كانا مصباحين يهديان إلى القصد »<sup>(4)</sup>؛ حيث شبه الكاتب السيف والقلم بمصباحين وأكد ذلك من خلال لفظة " كانا " فقد استعملت هذه اللفظة هنا لتوكيد فكرة معينة وهي الفائدة الكبيرة للسيف والقلم، وبالنسبة لوجه الشبه فهو الإنارة لإنارة الطريق للإنسان، وكذلك هدفه وغرضه، فهما سراج يوصلانه لمبتغاه، أما أثره في المعنى هو التأكيد والتوضيح أيضا.

<sup>(1)</sup> - بن بسام الشنتري: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 525.

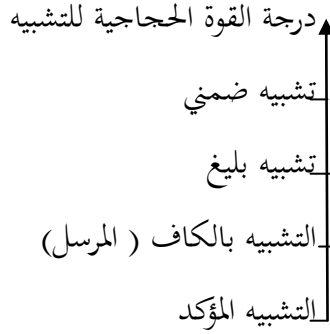
<sup>(2)</sup> - نفسه: ص 525.

<sup>(3)</sup> - نفسه: ص 526.

<sup>(4)</sup> - نفسه: ص 523.

كما يبرز نوع آخر من التشبيه وهو التشبيه المرسل في قوله على لسان السيف: « فأعود كالخلد كسي صبغ الخجل »<sup>(1)</sup>؛ إذ شبه السيف نفسه بيوم الحرب، وهو مضرج بالدماء بالخد الأحمر من الخجل فكان هذا التشبيه حجيته ضعيفة مقارنة بالتشبيهات الأخرى، فاستعمال الكاف يكون أقل قوة وضعف في الحجة، إذا ما قورنت بالأداة كأَن، فالكاف يقع في درجة أقل في سلمية الحجاج.

ولهذا تتضح لنا السلمية الحجاجية لاستعمال أدوات التشبيه في هذه المناظرة كما يلي:



وعليه فالتشبيه يعد من آليات الحجاج البلاغية، إذ تكمن حجاجية في كونه تصويرا قويا للمعنى يزيده وضوحا وقربا وتأثيرا، كما جاء كحجة على صحة الأطروحة المضحوضة أو المرفوضة وكنتيجة، ووجه الحجاج فيه أن المتكلم يقدم صورتين من واقعيتين مختلفتين ( السيف والقلم ) وبهذا يحمل المتلقي على الاستنتاج والاستدلال لإيجاد وجه الشبه بينهما، وبالتالي يتحقق الإقناع.

## 2/ الاستعارة:

إن الاستعارة حسب "أبي حسن الرماني" هي: « استعمال العبارة على غير ما وظفت له في أصل اللغة »<sup>(2)</sup>، أما حسب "الجرجاني": « فهي ما اكتفى فيها الاسم المستعار عن الأصلي ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها »<sup>(3)</sup>.

وتمثل أقوى وأبلغ الآليات اللغوية، فالاستعارة تؤثر في المتلقي وتقنعه بالحجة، لأنها تتميز بالقدرة على الفعل في المتلقي وتضفي جمالا وسحرا على الكلام، وهي أكثر حجاجية من القول العادي إذ تعد من أحسن وسائل التبليغ، "وابن برد" في مناظرته السيف والقلم، وظف القول الاستعاري بكثرة فهو يعد آلية حجاجية بامتياز ومن

(1) - بن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 526.

(2) - ينظر: عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، علم البيان، ص 173.

(3) - ينظر: المصدر نفسه: ص 173.

ذلك قوله: « جروا أذيال الخيلاء تفاخر »<sup>(1)</sup>؛ حيث شبههما ( السيف والقلم ) بالمرأة أو العروس وحذف المشبه به وترك ما يدل عليه (أذيالها) على سبيل الاستعارة المكنية.

كما نجد الاستعارة المكنية في قوله: « كشف الجدال قناعه »<sup>(2)</sup>؛ إذ شبه الجدال وهو أمر معنوي بالإنسان الذي يكشف قناعه وحذف المشبه به وترك قرينه دالة عليه وهي الفعل "كشف".

فبتوظيفه للاستعارة المكنية نجد "ابن برد" في مناظرته يعزز بها موقف كل من " السيف " و " القلم " باعتبارها من أقوى الأساليب البلاغية التي وظفها ابن برد وأقواها حجة فكل من السيف والقلم يريد فرض نفسه بقوة ويحاولان بهذه الأقوال الاستعارية استمالة المتلقي وإقناعه والتأثير فيه، وبهذا نجد الاستعارة المكنية وردت بكثرة في قوله: « مد الخصام ذراعه »<sup>(3)</sup>؛ حيث شبه الخصام برجل يمد ذراعه وحذف المشبه به وهو الإنسان وترك قرينه دالة عليه وهي مد الذراع على سبيل الاستعارة المكنية.

وفي قوله أيضا على لسان السيف: « فضل ما اجتني من غرسه »<sup>(4)</sup>؛ شبه الخصم بمالك البستان والأثر بالزرع وحذف المشبه به وترك قرينه دالة عليه وهو الفضل، على سبيل الاستعارة المكنية.

ومن قوله كذلك على لسان السيف: « قادت الفخر بأزمته »<sup>(5)</sup>؛ إذ شبه الفخر بحصان وحذف المشبه وأبقى على أحد لوازمه " أزمته " ومفردتها ( زمام ).

كما جاءت الاستعارة المكنية في قوله على لسان السيف: « الأجل قد عبس »<sup>(6)</sup>؛ حيث شبه الأجل بإنسان لكنه لم يذكره وإنما ذكر خاصية من خصائصه وهي القرينة اللفظية ( عبس )، إذن حذف الكاتب المشبه به ( الإنسان ) وذكر المشبه وهو ( الأجل ).

إلى جانب الاستعارة المكنية نجد الاستعارة التصريحية في قوله: « فإن التسابق بين جوادين سبقا في حلبة »<sup>(7)</sup>؛ «<sup>(7)</sup>؛ فابن برد استعمل الاستعارة هنا لتأدية المعنى الذي يقصده، وما يريده من درجة التأثير وقوة الإقناع في الخصم، فلا قول آخر يؤدي ذلك المعنى، فالاستعارة صورة من الأسلوب للتأثير والإقناع، فهي أبلغ من الحقيقة كما أن الدرجة الحجاجية للاستعارة في هذه المناظرة أقوى وأبلغ من التشبيه، إذ تصور المعنى المراد تصويرا يجمع بين

(1) - ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 523.

(2) - نفسه: ص 524.

(3) - نفسه: ص 524.

(4) - نفسه: ص 524.

(5) - نفسه: ص 524.

(6) - نفسه: ص 524.

(7) - نفسه: ص 523.



الرونق والإيجاز في شيء من المبالغة المقبولة التي تزيد من المعنى قوة وتأكيدها، فحجج القلم أقوى من حجج السيف كما رأينا.

ونخلص إلى أن الاستعارة بنوعها التصريحية والمكنية تؤسس حجاجا، وهي طاقته التي تمنحه قوة ووقعا على النفس والأذهان، "فابن برد" وظف الاستعارة في مناظرته ليدعم ويثبت به ما كان يقصده في مناظرته، ويستدرج المتلقي ويحرك خياله وهذا ما لاحظناه في مناظرته الخيالية بين السيف والقلم.

### 3/ الكناية:

فالكناية حسب " أبي عبيدة " هي: « كل ما فهم من سياق الكلام من غير أن يذكر اسمه صريحا في العبارة »<sup>(1)</sup>، فهو يستعمل الكناية استعمال اللغويين والنحاة بمعنى " الضمير ".  
أما حسب " الجاحظ " فهي: « التعبير عن المعنى تلميحاً لا تصريحاً، وإفصاحاً كلما اقتضى الحال ذلك »<sup>(2)</sup>.

و " أبو هلال العسكري " فيقرن الكناية بالتعريض بقوله: « الكناية والتعريض أن يكنن عن الشيء ويعرض به ولا يصرح على حسب ما عملوا بالتورية عن الشيء »<sup>(3)</sup>.  
فمن المعروف عنها أنها تعبير لا يقصد منه المعنى الحقيقي، وإنما معنى ملازم للمعنى الحقيقي أي تعبير يستعمله في غير معناه الأصلي ( الخيالي ) الذي وضع له مع جواز إرادة المعنى الأصلي ( الحقيقي )، كما أنها تعطي العبارة نوعاً من الإثارة ولفت انتباه القارئ، وفي المناظرة المدروسة نجد " ابن برد " أكثر من توظيفها، وذلك لغايات حجاجية ومن أمثلتها نذكر: ما جاء في بيان فضل السيف والقلم وإثبات أهميتهما في قوله: « ورياسة من ذوائب الجوزاء صاها »<sup>(4)</sup>؛ وهي كناية عن الرفعة والسمو والشرف، ونذكر أيضاً ما جاء على لسان القلم: « نار الجباحب الفراش »<sup>(5)</sup>؛ وهي كناية عن الوهم والخداع، فالجاحب حشرات يخالها الفراش نارا، وهذه الكناية جاءت كحجة يرد بها القلم على السيف مما زاد الفكرة عمقا وأضفى جمالا ورونقا على المعنى وذلك لتأثير وإقناع المتلقي بأفضليته.

(1) - عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية، علم البيان، ص 204.

(2) - المصدر نفسه: ص 205.

(3) - المصدر نفسه: ص 208.

(4) - ابن بسام الشنتري: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 524.

(5) - المصدر نفسه: ص 526.

فحجاجية الكناية تكمن في العلاقة التي تكون بين المعنى الذي يقصده المحاجج ( القلم ) والمتلقي ( السيف ) الذي يوجه إليه هذا المعنى.

كما نجد الكناية أيضا في قوله على لسان القلم: « النصفة فإنها في قدحها لمأمونة الطائر »<sup>(1)</sup>؛ كناية عن التفاؤل وبهذا فالقلم يؤكد ويثبت فضله ويعزز هذا بحجته المكناة إذ يرمز لنفسه بالتفاؤل، ومنه أيضا قوله على لسان السيف: « لقد تحاول امتداد بباع قصيرة، وانتفاضا بجناح كسيرة »<sup>(2)</sup>؛ وهي كناية عن الضعف وقلة الحيلة إذ تعطي للمتلقي حقيقة مصحوبة بالدليل والحجة فالسيف يريد إثبات نفسه وينقص من فضل وقوة القلم ويصفه بالضعف وبهذا فالسيف يثبت معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له، ولكن يلجأ إلى معنى هو رده في الوجود، فيستعمله مثنى له ويجعله دليلا عليه، ونجد الكناية أيضا على لسان السيف: « جمعجة رحي لا يتبعها طحن، وجلجلة رعد لا يليها مزن »<sup>(3)</sup>؛ وهي كناية عن الجلبة بلا طائل ولا جدوى فتوظيف ابن برد لها كان إثبات للمعنى وأبلغ للمقصود.

أضف إلى هذا الكناية في قوله على لسان السيف: « أوحش من جوف العير »<sup>(4)</sup>؛ وهي كناية عن الخواء والفقير فهو يرى قلبه فارغا.

كما وردت أيضا في قوله على لسان السيف: « أكرع يوم الوغى في لبة البطل »<sup>(5)</sup>؛ وهي كناية عن موصف وهو الحرب.

والكناية في قوله على لسان القلم: « يدب الدهر بعقاربه بين المرء وأقاربه »<sup>(6)</sup>؛ وهي كناية عن الوشاية والنميمة والتحول والعداوة، فالقلم بهذا يعطي للسيف على العداوة زيادة الخصومة بينهما.

هذه الكنايات كلها تثبت حجاجية الكناية في هذه المناظرة فقد استعمل ألفاظا مستهجنة أو جميلة، فكل كناية وغرضها أو مقصدها ( تهجين أو تحسين ) فالمتناظران السيف والقلم يتفاخران كل خصم يستعمل الكناية كتأثير في نفس المتلقي، ودرجة الحجاج فيها أقوى مما يثبت المعنى ويقرره.

(1)- ابن بسام الشنتربي: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 524.

(2)- نفسه: ص 525.

(3)- السابق: ص 526.

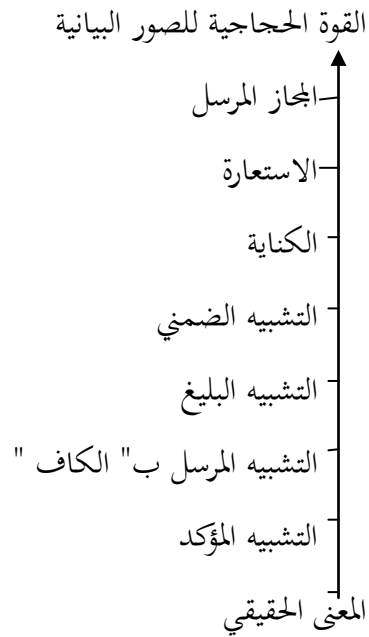
(4)- نفسه: ص 526.

(5)- نفسه: ص 526.

(6)- نفسه: ص 527.

#### 4/ المجاز المرسل:

يعتبر المجاز المرسل من الصور البيانية، فيكون حجاجيا لكونه « كلمة استعملت في غير معناها الأصلي لعلاقة غير المشابهة على قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي »<sup>(1)</sup>.  
 ومن أمثله في مناظرة السيف والقلم قوله على لسان السيف: « إن عاتقا حمل نجادي لسعيد »<sup>(2)</sup>؛  
 النجاد غمد السيف مجاز مرسل وعلاقته جزئية ذكر الجزء وهو يريد الكل.  
 وورد أيضا في قوله: « الروض غب السماء »<sup>(3)</sup>؛ ذكر السماء وهو يريد المطر مجاز مرسل وعلاقته الحالية.  
 فالجواز المرسل هنا تكمن حجاجيته في تنوع علاقاته كما في المناظرة المدروسة فابن برد اختار التركيب ليحسن التأليف وذلك بغرض إنشاء علاقة تثير المتلقي ولقنعه وذلك بتأدية المعنى المقصود بإيجاز كما فعل السيف تفاخرا على خصمه القلم.  
 وهنا يمكننا أن نرسم السلم الحجاجي الذي يبين درجات القوة الحجاجية للصور البيانية في مناظرة السيف والقلم كالآتي:



<sup>(1)</sup> عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية، ص 293.

<sup>(2)</sup> ابن بسام الشنتري: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 524.

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه: ص 525.

## 5/ المحسنات البديعية:

إن المحسنات البديعية يكمن دورها عند الوظيفة الشكلية، ولكن لها دور حجاجيا لا على سبيل الزخرفة ولكن بهدف الإقناع، حتى لا يحيل الناس خبرة ذلك.<sup>(1)</sup> وبهذا تعددت المحسنات البديعية ذات قوة تأثيرية اقناعية في الطرف الآخر، ونذكر في هذه المفاخرة بعض الآليات البلاغية كالآتي:

### 1- الطباق:

إن المطابقة أو الطباق كما اصطلح لرجال البديع هي: « الجمع بين الضدين أو بين الشيء وضده في كلام أو بيت شعر، كالجمع بين اسمين متضادين، أو بين فعلين متضادين أو غير ذلك»<sup>(2)</sup>. فقد استدل "ابن برد" في مناظراته بالطباق ليؤكد على وجود التضاد بها وتمثل بها في قول القلم: «الحق أبلج، والباطل لجلج»<sup>(3)</sup>؛ وفي هذا القول طباق بين كلمتين الحق والباطل، والطباق في قوله أيضا: «محمودة الباطن والظاهر»<sup>(4)</sup>، وأيضا في كلمات تسود وبيض<sup>(5)</sup> أكثر وأقل<sup>(6)</sup>، السائل والجامد<sup>(7)</sup>، بيضاء وسوداء<sup>(8)</sup> ترحل وسوداء<sup>(8)</sup> ترحل ولا ترحل.<sup>(9)</sup>

وحجة القلم لها تأثير بلاغي ونفسي على نظيره لذلك جاء رد السيف عليه قائلا: «لا أسر لكن أعلن»<sup>(10)</sup>؛ مستخدم هو آخر الطباق (أسر وأعلن) فكانت حجة السيف مقنعة فهو بهذا يتفاخر بنفسه وبقيمته إذ يقوم الطباق بوظيفة حجاجية هي توضيح المعنى حيث يدعم المعنى بقوة الوضوح ويجعل بذلك المتخاصمين (السيف والقلم) حججهم واضحة مقنعة، فالطباق وسيلة حجاجية يحسن ويميز وينمق وقوع المعنى في ذهن المتلقي مما يجعله يقتنع، "فابن برد" استند في مناظرته بين السيف والقلم إلى الطباق، فأعطى المناظرة لونا حجاجيا مما زاد من عملية

(1) ينظر: عمر أوكان، اللغة والخطاب، دار إفريقيا الشرق، الغرب، 2001، ص 134.

(2) ينظر: عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ط.د.ت، ص 77.

(3) ابن بسام الشنتري: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 524.

(4) - نفسه: ص 525.

(5) - نفسه: ص 525.

(6) - نفسه: ص 525.

(7) - نفسه: ص 526.

(8) - نفسه: ص 526.

(9) - نفسه: ص 526.

(10) - نفسه: ص 524.

التأثير والاستمالة، كما نرى أن "ابن برد" أكثر من توظيفه للطباق وخاصة طباق الإيجاب مما يبين حركة الحجج في المناظرة المدروسة ( السيف والقلم).

## 2- المقابلة:

يعد "قدامة بن جعفر" من أوائل من تكلموا عن المقابلة فيعرفها بقوله: « وصحة المقابلة أن يضع الشاعر معاني يريد التوفيق أو المخالفة بين بعضها وبعض، فيأتي في الموافق بما يوافق وفي المخالف على الصحة، أو يشترط شروطاً أو يعدد أحوالاً، في إحدى المعنيين فيجب أن يأتي فيما يوافقه بمثل الذي شرطه وعدده، وفيما يخالف بضد ذلك ».<sup>(1)</sup>

أما عند "أبو هلال العسكري" فهي: « إيراد الكلام ثم مقابله بمثله في المعنى واللفظ على وجه الموافقة أو المخالفة »<sup>(2)</sup>، في حين "ابن رشيق" يرى أن المقابلة: «هي ترتيب الكلام على ما يجب، فيعطي أول الكلام ما يليق به أولاً وآخر ما يليق به آخراً، يوتي في الموافق بما يوافقه وفي المخالف بما يخالفه».<sup>(3)</sup>

وقد قامت مفاخرة "ابن برد" على وجود المقابلة والتي تجسدت في عدة عبارات في قول القلم داحضاً ومفنداً حجة السيف، للإلزام والتوضيح وللتفاخر عليه: « والخيانة تسود ما بيض الصفاء »<sup>(4)</sup>؛ هنا مقابلة أي التضاد بين جملتين في المعنى فالجملة الأولى ( الخيانة تسود ) معناها يختلف عن معنى الجملة الثانية فالأولى تشير إلى الشر والثانية تشير إلى الخير ( بيض الصفاء )، وذلك ليثير القلم انتباه السيف وينفي الصفات التي نعته بها، ويبين أفضليته ومقامه.

والمقابلة أيضاً في قوله: « الحق أبلج والباطل لجلج »<sup>(5)</sup>، والتضاد هنا الحق أبلج ≠ والباطل لجلج، فالقلم يصف نفسه بالحق أما السيف فيصفه بالباطل فهو بهذا يقلل من شأنه، فرد السيف على القلم مفنداً حجته بأدلته: « في جسم ماء وحلة نار »<sup>(6)</sup>؛ وهي مقابلة بين جملتين الأولى عن الماء، أما الثانية عن النار وأثرها تقوية المعنى، وذلك للرد على الطرف المخاصم بأنسب الحجج وبهذا فالمقابلة تكون أقوى إذ كان كل قسم حججاً

(1) - ينظر: عبد العزيز عتيق، علم البديع، ص 84.

(2) - ينظر: المصدر نفسه، ص 85.

(3) - ينظر: المصدر نفسه، ص 85.

(4) - ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 524.

(5) - المصدر نفسه: ص 524.

(6) - المصدر نفسه: ص 526.

يقابل الآخر وعليه تقوم المقابلة بوظيفة أقوى في الحجاج من وظيفتها الجمالية وهذا ما لاحظناه في مناظرة السيف والقلم.

فالمقابلة إذن تقوم بوظيفة حجاجية ونرى أن حجاجتها تكمن في إيراد الكلام وما يقابله بشرط الترتيب وبهذا تكتسبت المناظرة من هذا المحسن البديعي في طياتها حجاجا ذا قوة مدعما للحجج بالقوة الإقناعية التأثيرية فتكون النتائج محل تصديق، فكل خصم يحاول إبراز نفسه داخضا الطرف الآخر باستعماله المقابلة وقوة علاقتها التقابلية مستميلا المتلقي ومؤثرا فيه.

وكمثال عن مخطط الحجاج بالمقابلة في هذه المناظرة نذكره كالاتي:



### 3- الجناس:

يعد الجناس من فنون البديع اللفظية، ومن أوائل من اهتم به "عبد الله بن المعتز" ويعرفه بقوله: «التجنيس أن يجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها»<sup>(1)</sup>. و باعتبار الجناس محسنا بديعيا أثره في إثراء الجانب الإيقاعي و"ابن برد" اعتمد في مفاخرته على الجناس التام في تفاخر القلم والسيف وتبيان مكانتهما في بداية المناظرة في قوله: « وادعى كل واحد منهما أن الفوز لقدمه وأن الورى لقدمه »<sup>(2)</sup>؛ ومثل الجناس هنا في كلمتي القدح والقدح، فمعنى القدح الأولى تشعل به النار، أما معنى القدح الثانية السهم ومنه تكمن حجاجية الجناس التام في كونه حجاجا مبنيا على التكرار، وفي نفس المنوال ورد الجناس الناقص في قوله: « وإن حال بينهما قدح النقاد وقبح تحاسد الأضداد »<sup>(3)</sup>؛ فهو تكرار لفظي لكن يختلف معنى اللفظ الأول عن الثاني، فترى أن اللفظ واحد والمعنى مختلف والنفس بطبيعتها تتأثر وتستحسن المكرر مع اختلاف معناه، فالجناس هنا قد وظف توظيفا حجاجيا.

(1) عبد العزيز عتيق: علم البديع، ص 195.

(2) ابن بسام الشتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 523.

(3) المصدر نفسه: ص 523.

وتمثل الجناس الناقص في حجة السيف وهو يتفاخر بمحاسنه في قوله: « وإن فتى اتخذني دليله لمهدي، وإن امرئ صيرني رسيله لمفدي »<sup>(1)</sup>؛ هنا اختلف في نوع الحروف وكذلك وجود جرس يبعث إلى تفاخر السيف بنفسه وأنه يقتدي به.

كما جاء الجناس الناقص أيضا على لسان القلم بحجة رد بها على السيف قائل: « نعوذ بالله من الحور بعد الكور »<sup>(2)</sup>؛ وذلك في كلمتي الحور والكور اختلفا أيضا في نوع الحروف والمعنى أيضا، ويقصد به هنا تشتت الأمر بعد اجتماعه إذ يكون الشخص عازم على فعل معين ويأتي شخص يثبت أفكاره ويجعله لا يثبت، فالكور مأخوذ من تكوير الأمامة لفها على بعضها حتى تحكم قبضة الرأس ( الثبات وقت الفتن)، والحور فك الأمامة بعد ذلك

يعني تشتت الأمر، وهذا الجناس جاء كحجة يدعم القلم رأيه وبهذا تكمن فعالية الحجاج باستعمال الجناس في الجرس الموسيقي والإيقاع الذي يقيمه فيكون بمثابة مؤثر ومستميل لنفسية المتلقي.

إذن فالجناس يعتبر رافد حجاجي نتيجة للموسيقى المنتجة من استعماله.

جل هذه المحسنات البديعية التي ذكرناها من خلال هذه المناظرة "السيف والقلم" أسهمت في تحسين القول وتوضيح المعنى وجعله ينهض بوظيفة حجاجية ويبرز الجدل والمفاخرة التي دارت بينهما.

#### 4- الاقتباس:

وتظهر حجاجيته في تضمين النثر شيئا من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف أو بعض الآيات الشعرية، أو الأمثال والحكم والأقوال، فابن برد في رسالته السيف والقلم، التي تتحل شكل المناظرة، وظف بعض الاقتباسات نذكر منها:

قوله على لسان القلم: " نعوذ بالله من الحور بعد الكور وقبحا لتحلي بالجور"<sup>(3)</sup>؛ الاقتباس هنا مأخوذ من الحديث النبوي في قوله صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أعوذ بك من الحور بعد الكور"<sup>(4)</sup>.

فاستعمال "ابن برد" لهذا الاقتباس على لسان القلم لتأكيد حجته وردة على خصمه السيف، فالقلم يتعوذ بالله من تشتت الأمر بعد اجتماعه فهو عازم على أمره، ولا شيء يشتم فكره ويجعله لا يثبت على رأيه فالكور

(1) - ابن بسام الشنبري: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 524.

(2) - المصدر نفسه: ص 524.

(3) - المصدر نفسه: ص 524.

(4) - الضياء المقدسي: شمس الدين ابن الكمال، صحاح الأحاديث فيما اتفق عليه أهل الحديث، تح: حمزة أحمد الزين، بيروت، د.ط، د ت، ج 6،

هنا مأخوذ من تكوير الأمامة لفها على بعضها حتى تحكم قبضة الرأس فالقلم بهذا لا يخون فهو متمسك برأيه، أما الحور فك الأمامة بعد ذلك وهذا ما يستعيد منه القلم " أعوذ بالله من تشتت الأمر بعد اجتماعه، فالإقتباس هنا جاء لتأكيد موقفه من السيف وردا عليه، كما أن القلم هنا ألزم الخصم حجة كافية للإقناع والرضوخ ولبيان فضله على خصمه.

ففي هذه المناظرة نرى أن الإقتباس وارد من قوة الحجاج والحوار الذي دار بين السيف والقلم، باعتباره حجة دعم بما موقفه إزاء السيف. أضف إلى هذا الإقتباس أيضا في قوله: "الحق أبلج والباطل لجلج"<sup>(1)</sup>؛ هذا الإقتباس مأخوذ من أقوال العرب، فكان أول من قال "الحق أبلج والباطل لجلج" هو أكثم بن صيفي التميمي الملقب "بحكيم العرب"<sup>(2)</sup>، فالإقتباس هنا جاء لتأكيد موقفه (القلم) من السيف مدعما رأيه حيث يقصد بالأبلج الواضح الناصع، وهذا دائما يكون وصفا للحق فهذه صفة من صفاته فهو هنا يفخر بنفسه على السيف بالمقابل فالجلج يعني الغامض اللئيم وهذا دائما يكون وصفا للباطل، وهو السيف.

وعلى هذا فالحجاج بالإقتباس يزيد من القول الحجاجي قوة وطاقته إقناعية تجعل من المتلقي يصدق ويقنع بالقول المقتبس وهذا ما فعله "ابن برد" في مناظرته.

## ثانيا: الآليات النحوية

### 1- الروابط الحجاجية:

لما كانت اللغة وظيفة حجاجية، وكانت التسلسلات الخطابية محددة بواسطة العناصر والمواد التي تم تشغيلها، فقد اشتملت اللغات الطبيعية على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج تسعى بالروابط والعوامل الحجاجية<sup>(3)</sup>، وهي جملة من الأدوات توفرها اللغة ويستعملها الباحث ليربط بين مفاصل الكلام ويصل بين أجزائه فتتأسس عندها العلاقة الحجاجية<sup>(4)</sup>، ولهذا تعتبر الروابط الحجاجية المؤشر الأساسي في الحجاج، إذ تقوم بالربط بين ملفوظين أو بين متغيرات حجاجية<sup>(5)</sup>، فاللغة العربية مثلا تشتمل على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية، نذكر من هذه الأدوات: لكن، بل، إذن، حتى، لاسيما، إذا، إذ، لأن، بما أن، مع ذلك، ربما، ما...إلا...، وسنسعى في

<sup>(1)</sup> - <https://m.elwannews.com>details>

<sup>(2)</sup> - ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 26.

<sup>(3)</sup> سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي، بنيت وأساليبه، ص 318.

<sup>(4)</sup> - ينظر: المرجع السابق، ص 26.

<sup>(5)</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 55.



هذا الجزء إلى بيان الحجاج من خلال الكشف عن الروابط اللغوية الحجاجية ففي مناظرة السيف والقلم " لابن برد الأصغر " تنوعت هذه الروابط ومن أمثلتها نذكر:

### 1/ الرابطة " لكن ":

لكن من أخوات " إن " وأشهر إفادة تفيدها لكن الاستدراك، وفي هذه الإفادة تكمن حججيتها، إذ الاستدراك هو: «تعقيب الكلام برفع ما يتوهم ثبوته أو نفيه». وتأتي لكن بحكم يكون عكس الحكم الذي سبقها، «أما إذا لم يخالف ما بعد حكم ما قبلها فتكون للتوكيد». (1)

يقول " ابن برد الأصغر " على لسان السيف «عدنا من ذكر الطبيعة إلى ذكر الشريعة ومن وصف الخصلة إلى وصف الملة، لا أسر ولكن أعلن، قيمة كل امرئ ما يحسن، إن عاتقا حمل نجادي لسعيد، وإن عضدا بات وسادي لسديد». (2)

وبهذا فحجاجية " لكن " تكمن في الحجاج يستدرك الكلام الذي سبق لإثبات خلافه وهذا ما فعلها ابن برد في هذا المثال، فالأطروحة التي أراد أن يوضحها هي: « العودة من ذكر الطبيعة إلى ذكر الشريعة، ومن وصف الخصلة إلى وصف الملة » (3)؛ وذلك باستعمال الرابط الحجاجي " لكن " وحثه أنه يعلن كل امرئ ما يحسن، وهذا يعتبر إضراب عن الحكم الأول مما يؤدي إلى نتيجة مناقضة للنتيجة الأولى.

### 2/ الرابطة " حتى ":

تكمن حجاجية " حتى " في إفادتها انتهاء غاية والدلالة على أن ما قبلها علة، وسبب فيما بعدها وهي حرف جر أصلي.

ومن الأمثلة على ذلك يقول " ابن برد " في مناظرة السيف والقلم في مفاخرته بين السيف والقلم على لسان السيف: « يا الله! استنتت الفصال حتى القرعى، ورب صلف تحت الراعدة، لقد تحاول امتداد بباع قصيرة، وانتفاضا بجناح كسيرة... إن الملوك لتبادر إلى دركي ولتتحاسد في ملكي، ولتتوارثي على النسب، ولتغالي في على الحسب، فتكللني المرجان وتنعلني العقيان، وتلحفني بخلل كحلل، وحمائل كخصائل، حتى أبرز البراز الهندي يوم الجلاء والروض غب السماء ». (4)

(1) - عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية، دراسة في نتاج ابن باديس الأدي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2014، ص 198.

(2) - ابن بسام الشريفي: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 524.

(3) - عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية، ص 199.

(4) - ابن بسام الشريفي: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 525.

ففي هذا القول أطروحتين وحجتين:

- الأطروحة 01: يا الله استنتت الفصل.
- الرابط الحجاجي: " حتى " .
- الحجة: القرعى .
- الأطروحة 02: تكلمي المرجان وتنعلني بالعقيان، وتلحطني بخلل كحلل... .
- الرابط الحجاجي: " حتى " .
- الحجة: أبرز البراز الهندي يوم الجلاء والروض غب السماء.

وهنا سنقوم بتحديد الرابط والسبب والنتيجة، فأما الرابط فهو الحرف " حتى " الذي يفيد معنى الغائية في هذه الجملة ومن خلاله تم الوصول إلى النتيجة المتمثلة في كلمة " القرعى "، وأما السبب في هذه النتيجة هي التي سقت الرابطة " حتى " وهي: " استنتت الفصل " .

أما الأطروحة الثانية: « وتنعلني العقيان وتلحطني بخلل كحلل، ومحائل كخمائل، حتى أبرز الهندي يوم الجلاء، والروض غب السماء »<sup>(1)</sup>؛ ففي هذه الجملة برز الرابط " حتى " الذي يفيد الغائية، فمن خلاله تم العبور إلى النتيجة التي هي " أبرز الهندي يوم الجلاء والروض غب السماء " وأما السبب في وقوع هذه النتيجة فقد تمثل في الجملة التي تموقت قبل الرابطة " حتى " وهي: " تنعلني العقيان وتلحطني بخلل كحلل، ومحائل كخمائل " . إذن فالرابط " حتى " على غرار تأديته لوظيفته المتمثلة في نصب الفعل المضارع فإن له دور في الربط بين السبب ( العلة) والنتيجة اللاحقة، ويسهم أيضا في تحقيق الانسجام المعنوي حيث أن القصد من العبارة التي قبل الرابط يتوضح في العبارة التي بعد الرابط، والغرض منه على غرار إسهامه في تحقيق الترابط بين الألفاظ، فهو لديه غرض آخر يتمثل في تقوية الحجاج.

وفي مثال آخر يقول على لسان القلم : « إن ماءك السائل الجامد، وإن جرمك الملتهب البارد، ولن يغرق فيه حتى تكرر في السبابس العطشان، ولن يحترق به حتى يقع في نار الحباحب الفراش »<sup>(2)</sup>.

- الأطروحة 01: إن ماءك السائل الجامد، وإن جرمك الملتهب البارد، ولن يغرق فيه.
- العامل الحجاجي: " حتى " .

<sup>(1)</sup> المصدر السابق، ص 525.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه: ص 526.

- الحجة: تكرع في السباسب العطشان.
- الأطروحة 02: لن يحترق به.
- العامل الحجج: حتى.
- الحجة: يقع فيه نار الحباحب الفراش.

في هذه الجملة نلاحظ أن الرابط " حتى " الذي يفيد الوصول إلى الغاية وانتهاء السعي، حيث أن معنى الجملة التي قبل هذا الرابط وهي: " إن ماءك السائل الجامد، وإن جرمك الملهب البارد ولن يغرق فيه ". هي السبب والعلة في حدوث ما تفيده الجملة الثانية: " تكرع في السباسب للعطشان ". تكرر الرابط "حتى" في هذه الجملة وذلك من أجل التعبير عن نهاية علتين متعاقبتين فالعلة الأولى هي سبب في وجود علة ثانية.

ومعنى هذا أن "حتى" تبطل النتيجة الأولى وتحقق النتيجة الثانية وتكون سببا في النتيجة الأولى، وبهذا فالرابط "حتى" تأتي للتعليل وتسهم في الربط بين الحجج والنتائج في المناظرات.

### 3/ الرابطة "إذا":

تعتبر "إذا" من أدوات الشرط التي وظفها "ابن برد الأصغر" ونذكر منها ما جاء في رسالة السيف والقلم:  
**مثال أول: « والمقدم إذا أحجمت الأبطال »<sup>(1)</sup>.**

في هذه الجملة ورد أسلوب الشرط من خلال وجود جملة الشرط: "أحجمت الأبطال"، والرابطة "إذا" > أداة شرط، وجملة جواب الشرط "المقدم"، حيث أنه في هذه الجملة ورد تأخير جملة جواب الشرط، الأصل في الجملة: "إذا أحجمت الأبطال قدم".

إذن فإن أسلوب الشرط في هذه الجملة كان له مدلول قوي جدا يخدم الحجج المرادة، ويجعل الإقناع أكثر فاعلية، من خلال تأكيد فكرة معينة مروراً بفكرة سابقة.

**مثال ثاني: ويقول على لسان القلم أيضا: « والضاحك إذا بكت الآجال »<sup>(2)</sup>.**

ورد أيضا في هذه الجملة أسلوب شرط، فجملة الشرط هي: "بكت الآجال"، وأداة الشرط "الرابط" هي: "إذا"، وجملة جواب الشرط: "الضاحك"، فهنا قد تقصد الكاتب استحضر أسلوب الشرط من أجل أن يكون

<sup>(1)</sup>- المصدر السابق: ص 527.

<sup>(2)</sup>- المصدر نفسه: ص 527.

إقناعه أكثر فعالية، خصوصاً أن الشرط هنا تزين ببلاغة، ضف إلى ذلك أنه وصل إلى فكرته الجوهرية وهي: التفاؤل، بعد مروره بفكرة نقيضة وهي: "البكاء" "إذا بكت الآجال"، فالدلالة هنا قوية جداً. ومن الأمثلة السابقة، نستنتج أن الرابط "إذا" الذي يفيد الشرط من أكبر المساهمين لغويا في تحقيق قوة الإقناع وبناء الحجج في المناظرة، كونه يؤكد على فكرة جوهرية لا تقبل أن يعتربها الشك.

#### 4/ الرابطة "إن":

"إن" حرف مشبه بالفعل يدخل على الجملة الاسمية فينصب المبتدأ اسماً له، ويرفع الخبر خبراً له، ومن معانيها التوكيد وهو الأصل فيها، ومن أمثلتها نذكر ما يلي:

يقول ابن برد على لسان السيف: « لا أسر ولكن أعلن، قيمة كل امرئ ما يحسن، إن عاتقا حمل نجادي لسعيد، وإن عضدا بات وسادي لسديد ».<sup>(1)</sup>

- النتيجة: الإعلان بقيمة كل امرئ ما يحسن.

- الرابط: إن.

- الحجة: عاتقا حمل نجادي لسعيد، عضدا بات وسادي لسديد.

هذه الجملة تنسب إلى الجملة التي ما بعدها حكماً بالإثبات والتوكيد على حجته، فالسيف يذكر محاسنه وقيّمته، وذلك تفاخراً وتباهياً على خصمه.

كما وردت إن في قوله على لسان القلم: « إن ازدراءك بتمكني وجداني وبخس أثماني لنقص في طباعك وقصر في باعك »<sup>(2)</sup>؛ "إن" هنا جاءت من أجل إثبات حجته ونفي حجة خصمه "السيف".

ومن هذا نجد أن "إن" في هذه المناظرات الحجاجية كمؤكّد مما يجعلها أكثر يقينية، وهذا لإثبات النتيجة وجعلها أكثر إقناعاً في ذهن المتلقي.

#### 2- العوامل الحجاجية:

العوامل الحجاجية هي مورفيمات إذا وجدت في ملفوظ تحول وتوجه الإمكانيات الحجاجية لهذا الملفوظ، فهي لا تربط بين حجة أو نتيجة، لكنها تقوم بخصر أو تقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما، وتضم مقولة العوامل والأدوات من قبيل: ربما، تقريبا، ما...إلا وجل أدوات القصر<sup>(3)</sup>.

<sup>(1)</sup> ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص524.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه: ص525.

<sup>(3)</sup> عمران قدور: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، أريد، الأردن، ط01، 2012م، ص36.

## 1/ العامل الحجاجي " ما...إلا ":

من التراكيب التي تترتب فيها الحجج حسب درجتها الحجاجية، التركيب الذي يتضمن الأداتين " ما وإلا " في ترتيب الحجج، إذ أن العامل " ما...إلا " يوجه القول نحو وجهة واحدة، وهذا يستثمره المرسل، عادة لإقناع المرسل إليه بشيء ما، مثل الحث على شيء أو التقليل من قيمة الشيء أو غيرها.<sup>(1)</sup>

يقول ابن برد الأصغر في رسالته " السيف والقلم " على لسان السيف:

ما جاريا أملا فوافيا أمدا إلا وكانت خصال السبق بينهما<sup>(2)</sup>.

أداة النفي ← جاريا أملا فوافيا أمدا " نتيجة "

أداة الاستثناء " إلا " ← كانت خصال السبق بينهما " تدعيم وحجة " .

من خلال المثال السابق نلاحظ أن العامل " ما...إلا " قد وظف لغايات حجاجية، فهنا في هذا المثال أراد ابن برد أن يوضح أن السيف والقلم في نزاع دائم ذا أمد طويل، وللدلالة على هذا المعنى وظف الرابطة " ما " ثم أكد على ما ب " إلا " بعد ذلك من خلال ختامه لأسلوب القصر بالرباط " إلا " وما بعده، فما جاء بعدها هو سبب لما جاء بعد إلا، ولهذا جاء العامل لتدعيم الحجة وتقويتها.

## 2/ عاملية النفي:

إن النفي من العوامل الحجاجية التي يحقق بها المتكلم وظيفة اللغة الحجاجية المتمثلة في إذعان المتقبل وتسليمه عبر توجيهه بالملفوظ إلى النتيجة " ن "، كما أن عاملية النفي الحجاجية لا يمكن إدراكها إلا بإدراك النتيجة التي يريد إثبات توجيه جمهوره إليها.<sup>(3)</sup>

ففي المناظرة المدروسة نجد النفي من العوامل التي ساعدت في تشكل الحجاج ونذكر من أمثلتها:

يقول "ابن برد" على لسان القلم: « وترحل عزماتي شرقا وغربا ولا أرحل »<sup>(4)</sup>؛ فالنفي هنا جاء عقب

الإثبات، يقصد به أن أفكار الإنسان لا تبقى حبيسة شخص معين وإنما تتوارثها الأجيال، ومنه قوله: " ترحل عزماتي شرقا وغربا "، بينما الشخص المفكر المعبر عنه بأنه القلم لا يرحل، معناه أنه نفي ثبات الأفكار في مكان واحد وأثبت بقاء المفكر في مكان آخر.

<sup>(1)</sup> ينظر: عبد الهادي بن ظاهر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 520.

<sup>(2)</sup> ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 528.

<sup>(3)</sup> ينظر: عز الدين ناجح: العوامل الحجاجية في اللغة العربية، دار نحي - صفاقص، تونس، ط1، 2011، ص 47، 50.

<sup>(4)</sup> المصدر السابق: صص 525 - 526.

إذن نستنتج أن النفي من أهم التراكيب اللغوية التي تساهم في إثراء المناظرة وتزيد الحجج غنى من خلال قوة الألفاظ التي تجيء بها، ومن ثمة تناسق الأفكار وانسجام المعاني فتكون الحجة قوية بالنفي.

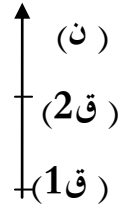
### ثالثا: الآليات غير اللغوية:

إن أي خطاب حجاجي مرتبط بإنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، إذ يعتبر إنجازا للمتواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية المعروفة بالآليات اللغوية، وهذا ما تطرقنا إليه سابقا، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها.<sup>(1)</sup>

أما الآليات غير اللغوية المعروفة بالآليات الشبه المنطقية يجسدها السلم الحجاجي بأدواته وآلياته اللغوية، ويندرج ضمن هذا السلم كثير من الأدوات اللغوية أهمها: الروابط الحجاجية، العوامل الحجاجية.

### 1/ السلم الحجاجي:

أ/ تعريفه: هو عبارة عن مجموعة فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية "، ولهذا اقترح " ديكر " كفهوما له، إذ يقول: « إن أي حقل حجاجي ينطوي على علاقة ترتيبية لحجج معينة ».<sup>(2)</sup>



ب/ شروطه: ينص السلم الحجاجي على شرطين هما<sup>(3)</sup>:

1/ أن كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

2/ كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه.

ج/ قوانينه: وهو بدوره تحكمه مجموعة من القوانين محصورة في ثلاثة قوانين أهمها<sup>(4)</sup>:

1/ قانون الخفض: إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها.

2/ قانون تبديل السلم: إذا كان القول دليلا على مدلول معين، فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله.

<sup>(1)</sup> ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مؤسسة الريحان الحديثة، بيروت، 2009، ص 21.

<sup>(2)</sup> ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص 499.

<sup>(3)</sup> المرجع السابق: ص 499.

<sup>(4)</sup> طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، صص 105 - 106.

3/ قانون القلب: إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول.

### 1/ قانون الخفض:

يقول ابن برد الأصغر: « احكم فأعدل، وأشهد فأقبل وترحل عزماتي شرقا وغربا ولا أرحل، أعد فأفي، وأستكفي فأكفي، أحلب الغنى من ضروعه، واجتني الندى من ضروعه، وهل أنا إلا قطب تدور عليه الدول وجواد شأوه يدرك الأمل، شفيح كل ملك إلى مطالبه»<sup>(1)</sup>.

(ن) - وهل أنا إلا قطب تدور عليه الدول وجواد شأوه يدرك الأمل، شفيح كل ملك إلى مطالبه.

(ق2) - أعد فأفي، وأستكفي فأكفي، أحلب الغنى من ضروعه، واجتني الندى من ضروعه.

(ق1) - أحكم فأعدل، وأشهد فأقبل، وترحل عزماتي شرقا وغربا ولا أرحل؛

ويعتمد ترتيبنا للحجج الآتي ذكرها والتفصيل في أمرها ترتيبا منطقيًا، فالحجة الأولى ممدد وسبيل لإبراز الحجة الثانية، ومن خلال المحتين الأوليتين، تم الوصول إلى أقوى حجة وهي:

" فهل أنا إلا قطب تدور عليه الدول، ... شفيح كل ملك إلى مطالبه"، هذه هي الحجة القوية التي حسمت البراهين في هذا السلم الحجاجي > في حدود هذا السلم<، وأما التصنيف فكان تحت قانون الخفض، كون الحجج التي كانت في أعلى مراتب السلم الحجاجي قد صدق نقيضها في الرتب التي تحتها. إذن حسب الحجج التي وردت في هذا السلم فإن الطرف الذي يثبت حضوره في المناظرة، ليس مخالفا لوعده، وليس ظالما، بل هو عادل.

### 2/ قانون تبديل السلم:

يقول " ابن برد الأصغر" على لسان القلم: « أستعيذ بالله من خطل أرعية فيه سوامك وزلل افتتحت به كلامك، إن ازدراءك يتمكن وجداني، وبخس أثماني، لنقص في طباعك، وقصر في باعك، ألا وإن الذهب معدنه في العفر، وهو أنفوس الجواهر، والنار مكنها في الحجر، وهي إحدى العناصر، وإن الماء هو الحياة، أكثر المعاش وجدانا، وأقلها أثمانا وقلما تلفى الأعلاق النفسية، إلا في الأمكنة الحسية ولو لا جلاء الصياقل صدأك لأسرعت ذهابا، وعدت مع التراب ترابا»<sup>(2)</sup>.

<sup>(1)</sup> ابن بسام الشنتيري: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، صص 524-525.

<sup>(2)</sup> المصدر السابق: صص 525-526.

(ت) - لو لا جلاء الصياقل صدأك لأسرعت ذهاباً، وعدت مع التراب تراباً.

(ق2) - ألا وإن الذهب معدنه في العفر، وهو أنفوس الجواهر، والنار مكمناها في الحجر، وهي إحدى العناصر، وإن الماء هو الحياة، أكثر المعاش وجدانا، وأقلها أثمانا وقلما تلفى الأعلاق النفسية، إلا في الأمكنة الحسية.

(ق1) - أستعيد بالله من خطل أرعية فيه سوامك وزلل افتتحت به كلامك، إن ازدرائك يتمكن وجداني، وبخس أثمانى، لنقص في طباعك، وقصر في باعك؛

بالنسبة للحجج التي اندرجت تحت قانون تبديل السلم كما هو موضح في البحث فسيتم مناقشة أول سبب لترتيب تلك الحجج في السلم الحجج تبعاً لذلك الشكل، وعليه جدير بالذكر الإشارة إلى أننا قد رتبنا تلك الحجج تبعاً لذلك الترتيب تماشياً للمنطق الذي يفرضه الترتيب، وتماهياً مع درجات الإقناع، فالحجة الأولى تختلف من حيث القوة مع الحجة الثانية، وأما الثالثة فهي أقواهن والتي هي: "لو لا جلاء الصياقل صدأك لأسرعت ذهاباً، وعدت مع التراب تراباً"، إذن فهذه هي أقوى حجة على مستوى السلم الحجج ابن برد مستنتقا القلم، فأسلوب الشرط الوارد على مستواها خير دليل على قوتها، فحرف " لو لا" أداة امتناع لوجود وذلك الامتناع ينقضي على تلك الحجة واستعمالها الدحض حجج الخصم، كما يدل على نوع من القوة التي لو لم تكن لما كان شيء أو أمر ما ليحدث تماماً كالحجة التي أرادها القلم ليثبت نفسه ويدحض حجج السيف التي ذكرها سابقاً، وأما عن وضعنا لهذه الحجج، ضمن خانة قانون التبديل، فذلك كون القلم يتسم بالرفعة والمكانة الرفيعة، وقد أراد القلم من خلال هذه الصفات التي نسبها انفسيه إثبات العكس بالنسبة للسيف، أي محاولة لإبدال المعاني، فمدلول حجة القلم يقابله نقيض هو حجة السيف.

### 3/ قانون القلب:

وفي قول آخر على لسان القلم يقول: « خير الأقوال الحق، وأحمد السحايا الصدق، والأفضل من فضله الله عز وجل في تنزيله، مقسماً به لرسوله، فقال: « ن والقلم وما يسطرون»، وقال: « اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم» ... لقد أخذت الفضل برمته، وقدمت الفخر بأزمته»<sup>(1)</sup>.

(ت) - لقد أخذت الفضل برمته، وقدمت الفخر بأزمته.

(ق2) - " اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم".

(ق1) - " ن والقلم وما يسطرون".

<sup>(1)</sup> المصدر السابق: ص 524.



كانت الحجة الأولى قوية نظرا لطبيعة الحجة الممثلة في الآية القرآنية التي وظف فيها القلم الخطاب القرآني وفي هذا قوة ودلالة تبرزها مصداقية الحجة، وهي " ن والقلم وما يسطرون"، أما الحجة الثانية التي احتلت المرتبة الثانية قوة وهي أيضا آية قرآنية كريمة، للدلالة أيضا على الأفضلية، ثم الوصول إلى النتيجة التي هي استنتاج لما جاء في الآيتين، وهذه النتيجة بمثابة برهان مقنع وفاضل " لقد أخذت الفضل برمته، وقدمت الفخر بأزمته". إذن فالحجة هي إقناع واضح يحس القارئ من خلالها أن القلم بلغ ذروة انبهاره بنفسه واقتناعه بأنها الأصل، ووصل أوج توكيده لذلك.

نستنتج من الأمثلة السابقة أن السلم الحججيني ينبنى ترتيبا من الحجة الأدنى قوة إلى الأقوى، من أجل توكيد فكرة معينة والدفاع عنها، وهذا استنادا إلى قوانين ثلاثة: الخفض والإبدال والقلب.

خاتمه

### خاتمة:

بعد عرض كل ما جمعناه من مادة علمية تخص بحثنا هذا، نخلص إلى استنباط أهم النتائج المتوصل إليها ونقسمها إلى نتائج نظرية وأخرى تطبيقية:

#### أولاً: النتائج النظرية:

- يعتبر الحجاج أسلوباً توأصلياً وهو فن من فنون الإقناع.
- الحجاج عبارة عن عملية استعراض للأدلة والبراهين من أجل الإشارة والتأثير.
- اهتم العلماء العرب والغرب على السواء بالدرس الحجاجي، وذلك من خلال قيامهم بدراسات متعددة في هذا المجال.

- ظهر الحجاج في التراث العربي مرادف للجمل والحوار والبراهين وهو آلية من آليات العملية التداولية.
- المناظرة عبارة عن محاورة فكرية بين طرفين إذ يسعى كل طرف إلى إقناع الطرف الآخر مقدماً حجج لغوية كانت أو غير لغوية.

- تقوم المناظرة على المحاججة والمجادلة، مما يجعلها شكلاً من الأشكال الخطابية التي يبرز من خلالها الحجاج.

- تشكلت المناظرات في الأدب العربي عبر مراحل واكبت فيها التطورات الحاصلة في المجتمع العربي.
- إن توفر شروط المناظرة بين المتناظرين تسهم في رفع قيمتها العلمية.
- المناظرة تقوم على الفعالية اللغوية، إذ ترتبط ارتباطاً مباشراً بالفكر الإنساني ضمن علاقة جدلية.

#### ثانياً: النتائج التطبيقية:

- المناظرة حوار بين فريقين من عالم وهم الخيال، إذ يبرز كل فريق فضائله ومحاسنه على الآخر، ومفاخرة ابن برد من نسيج خياله، فالسيف والقلم جمادات تتحاور وتتصارع في نص المناظرة.
- تعتمد المناظرة على نوعين من الآليات الحجاجية: المتمثلة في الآليات اللغوية والنحوية والآليات غير اللغوية.

- في مناظرة السيف والقلم نجد توظيف الكثير من الآليات البلاغية كالتشبيه والاستعارة والكناية والتي أكسبت القول طاقات حجاجية لا تتوفر الأقوال العادية.
- اعتمد ابن برد على الأدلة الجاهزة كالقرآن والشعر لأنها تعتبر أدلة قوية جداً.

## خاتمة

- اعتمد ابن برد في مناظرته السيف والقلم كثيرا على الأجناس البديعية كالطباق والسجع والمقابلة بإعتبارها تكسب القول درجة عالية من التأثير والإقناع، إضافة إلى النظرية الجمالية.
  - في مناظرة السيف والقلم لاحظنا تنافر بين الطرفين وذلك من خلال دحض طرف حجة الآخر وإبقاء حجته، وذلك من خلال الحق والتقليل من الشأن والمكانة.
  - اعتمد ابن برد في مناظرته على الروابط والعوامل الحجاجية وذلك من أجل انسجام الخطاب حجاجيا وتوجيهه نحو نتيجة واحدة، فجعل الروابط حملت دلالة التفسير والتعليل.
  - استثمار الآليات اللغوية كالتكرار والتوكيد من أجل تأكيد الأفكار التي يطرحها المناظر وإقناع خصمه بها.
  - اعتمد ابن برد على السلم الحجاجي إذا استعمل التدرج في عرض الحجج، ففي المناظرة يبدأ بالحجة الأضعف وصولا إلى الحجة الأقوي، والعكس قد يبدأ بالحجة القوية إلى أن يحصل إلى الحجة الضعيفة.
- ومن تمام العقل إن الموضوع مفتوح للباحثين، إذ يمكن تطبيق آليات الحجاج على كثير من المناظرات الأندلسية على اختلاف أضرئها.
- والحمد لله أولا وآخرا.

# قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم (برواية ورش)

1- المعاجم

1. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، إسطنبول، تركيا.
2. ابن منظور الأنصاري أبو فضل جمال الدين: لسان العرب، مج 2، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1991.
3. الجرجاني الشريف علي محمد بن علي: التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي.
4. الزبيدي محمد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس: تح: عبد الحليم الطحاوي، المجلد 14، مطبعة الكويت، 1974.
5. الزبيدي محمد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس: تح: عبد الحليم الطحاوي، مطبعة الكويت، 1974.
6. الزمخشري جار الله محمود بن عمر: معجم أساس البلاغة، مادة الحاء، تح: مزيد نعيم وشوقي المعري، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1991.
7. نصار نواف: معجم المصطلحات الأدبية، عربي إنجليزي، دار المعتز للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2010.

2- المصادر :

8. الشنتريبي ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

3- المراجع:

9. ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوضي، منشورات الرفاعي، الرياض، د ط، د ت.
10. أوكان عمر: اللغة والخطاب، إفريقيا الشرق، المغرب، 2001.
11. أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مؤسسة الريحان الحديثة، بيروت، 2009.
12. بارت رولان: قراءة جديدة للبلاغة القديمة، دار أفريقيا الشرق د.ط، د.ت.
13. بغورة الزاوي : الفلسفة واللغة نقد المنطق لغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.2008.
14. بن كمال شمس الدين: صحاح الأحاديث فيما اتفق عليه أهل الحديث، تح: حمزة أحمد الزين، بيروت، د.ط، د.ت.

15. بوجادي خليفة : في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2009.
16. الجاحظ أبو عمر ابن بحر: البيان والتبيين، تح، عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، د، ط، د ت.
17. الجرجاني عبد القاهر: أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر: مطبعة المدين، جدّة.
18. جريشة علي: أدب الحوار والمناظرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورية، ط1، 1989.
19. الحباشة صابر : التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 2008.
20. حبنكة الميداني عبد الرحمن حسن: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، بيروت، لبنان، ط4، 1993.
21. حشاني عباس: خطاب الحجاج والتداولية، دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2014.
22. حمداوي جميل : من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2014.
23. الخطابي محمد: لسانيات النص "مدخل إلى انسجام الخطاب"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1991.
24. الدريدي سامية : الحجاج في الشعر العربي القديم، من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، ط1، 2008.
25. الزركشي بدر الدين: البرهان في علوم القرآن، تح: محمود أبو الفضل منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د ط، د ت.
26. السكافي محمد بن علي: مفتاح العلوم، ضبط نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، د ت.
27. سلامي عبد اللطيف: المدخل إلى فن المناظرة، بلومزبري، مؤسسة قطر للنشر، الدوحة، ط01، 2014.
28. الشهري عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية دار الكتاب الجديد المتحدة بنغازي، ليبيا، ط1، 2004.
29. الصديق حسين : المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، دار نوبار، القاهرة، مصر، ط1، 2000.
30. صمود حمادي : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، د.ت.

31. صمود حمادي : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، د.ت.
32. صولة عبد الله: الحجاج أثره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبيerman وتيتكا.
33. صولة عبد الله: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائص الأسلوبية، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط2، 2007.
34. صولة عبد الله: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011.
35. ضيف شوقي: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، مصر، ط12، 2012.
36. الطلبة محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008.
37. الطلبة محمد سالم محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيerman وتطوره في البلاغة المعاصرة، عام الفكر العربي، 2008.
38. عادل عبد اللطيف: الإقناع في المناظرة، درا الأمان، الرباط، بيروت، لبنان، ط1، 2013.
39. عبد الرحمان طه عبد: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، ط01، 1998.
40. عبد الرحمان طه: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000.
41. عتيق عبد العزيز: في البلاغة العربية علم البيان، دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1985.
42. عتيق عبد العزيز: في البلاغة العربية، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت- لبنان - ، د.ط، د.ت.
43. عتيق عبد العزيز: في البلاغة العربية، علم المعاني، دار النهضة للنشر والتوزيع، بيروت- لبنان - ، ط1، 2009.
44. العزاوي أبو بكر: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2006.
45. العسكري أبو هلال: كتاب الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 2006.
46. العشاوي عبد الجليل: الحجاج في الخطابة النبوية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012.



47. العشاوي عبد الجليل: الحجاج في الخطابة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012.
48. العشي عبد الله: زحام الخطابات، دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر، د ط، 2005.
49. علوي حافظ إسماعيل : الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الجديدة، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010.
50. العمري محمد: في بلاغة الخطاب الاقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، ط2، 2002.
51. فضل صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النفس، سلسلة عالم المعرفة د ط، د ت.
52. قدور عمران عمران: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط01، 2012.
53. القزويني الخطيب: الإيضاح في علوم البلاغة، تح: أحمد شنوي، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1، 2016.
54. القزويني الخطيب: الإيضاح في علوم البلاغة، تح: أحمد شنوي، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1، 2016.
55. قط مصطفى البشير : مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، 2010.
56. ناجح عز الدين: العوامل الحجاجية في اللغة العربية، دار نهي - صفاقص-، تونس، ط1، 2011.
- 4- المجالات:**
57. مجلة عالم الفكر، الكويت، مج30، ع30، 1 ديسمبر، 2001.
- 5- الرسائل الجامعية:**
58. بن منصور آمنة : المناظرة في الأندلس (دراسة في الأشكال والمضامين)، أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان-، كلية الآداب واللغات، 2012.
59. بوزناشة نور الدين : الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي - دراسة تقابلية - أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، جامعة ليمن دباغين، سطيف، الجزائر، 2015، 2016.
- 6- المواقع الإلكترونية:**
60. [www.startimes.com](http://www.startimes.com) 23/06/2019 (13 :00)
61. <https://elwannews.com>details>

# فهرس المحتويات

مقدمة.....أ،ب.....

## الفصل الأول: الحجاج والمناظرة

- أولاً- الحجاج.....1-38
- 1- مفهوم الحجاج.....1-6
- أ- الدلالة اللغوية.....1-3
- ب- الدلالة الاصطلاحية.....3-6
- 2- نشأة الحجاج.....6-24
- 1- الدرس الحجاجي عند الغرب.....6-19
- أ- عند القدماء.....6-11
- \* الحجاج عند السفطائين.....7-8
- \* الحجاج عند أفلاطون.....8
- \* الحجاج عند أرسطو.....8-11
- ب- عند المحدثين.....11-19
- \* الحجاج عند برلمان وتيتيكاه.....11-14
- \* الحجاج عند ديكر وأوسكمبر.....14-18
- \* الحجاج عند تولمين.....18-19
- 2- الدرس الحجاجي عند العرب.....19-22
- أ- عند القدماء.....19-20
- \* الحجاج عند الجاحظ.....19-20
- \* الحجاج عند أبو هلال العسكري.....20
- ب- عند المحدثين.....21-22
- \* طه عبد الرحمان.....21
- \* أبو بكر العزاوي.....21-22
- 3- أنواع الحجاج.....22-24

أ-الحجاج التجريدي.....	23-22
ب- الحجاج التوجيهي.....	23
ج- الحجاج التقويمي.....	24-23
4- وسائل وتقنيات الحجاج.....	36-24
* طرائق الوصل.....	26-24
أ-الحجج شبه المنطقية.....	25-24
ب-الحجج المؤسسة على بنية الواقع.....	25
ج- الحجج المؤسسة لبنية الواقع.....	26
* طرائق الفصل.....	27-26
3-4- الوسائل البلاغية.....	34-27
أ- الاستعارة.....	30-28
ب- التشبيه.....	32-30
ج- الكناية.....	33-32
* الوسائل اللسانية.....	34-33
5- علاقة الحجاج بالمصطلحات الأخرى.....	38-34
أ- علاقة الحجاج بالبلاغة.....	36-34
ب- علاقة الحجاج بالاستدلال.....	36
ج- علاقة الحجاج بالبرهنة.....	37-36
د- علاقة الحجاج بالتداولية.....	38-37
<b>ثانيا: المناظرة.....</b>	<b>54-39</b>
1- مفهوم المناظرة.....	42-39
أ- الدلالة اللغوية.....	40-39
ب- الدلالة الاصطلاحية.....	42-40
2- نشأة المناظرة.....	48-42
3- أنواع المناظرة.....	49-48

أ- المناظرات الواقعية.....	48
ب- المناظرات الخيالية.....	49-48
4- فوائد المناظرة.....	49
5- أهداف المناظرة.....	50
6- أركان المناظرة.....	52-50
أ- الموضوع.....	51-50
ب- المتناظران.....	52-51
7- مراحل المناظرة.....	52
8- شروط المناظرة.....	54-52

### الفصل الثاني: آليات الحجاج في مناظرة السيف والقلم

تمهيد.....	57-55
أولاً: الآليات اللغوية.....	77-57
1- الأدلة الجاهزة.....	58-57
2- الآليات التعبيرية الوصفية.....	77-61
ثانياً: الآليات النحوية.....	82-77
1- الروابط الحجاجية.....	81-77
2- العوامل الحجاجية.....	82-81
ثالثاً: الآليات غير اللغوية.....	86-83
1- السلم الحجاجي.....	86-83
خاتمة.....	88-87
قائمة المصادر والمراجع.....	92-89

## الملخص

الحجاج آلية تواصلية وهو فن من فنون الإقناع يعتمد أساسا على تقديم الحجج والبراهين والأدلة، وذلك لاستمالة الطرف الآخر، إذ ظهر في التراث العربي مرادف للجمل والحوار والبراهين وهو آلية من آليات العملية التداولية.

وكما أن فكرة الحجاج فكرة بلاغية، ويندرج ضمن الدراسات التي تعنى بالجانب التنظيري للحجاج والتي تحاول تطبيق معالم هذه النظرية على مختلف أشكال الخطاب وبالأخص فن المناظرة والتي تقوم بدورها على المحاججة والمجادلة، حيث تتضمن كل وسائل الإثارة والإقناع، فالمناظرة تقوم على الفعالية اللغوية إذ ترتبط ارتباطا مباشرا بالفكر الإنساني ضمن علاقة جدلية ومنه فمناظرة السيف والقلم لابن برد الأصغر جسدت آليات حجاجية مختلفة، فالسيف والقلم جمادات تتحاور وتتصارع في نص المناظرة وهي من عالم وهم الخيال.

**الكلمات المفتاحية:** الآليات، الحجاج، المناظرة، مناظرة السيف والقلم.